رابعاً: بين الأقليات والجاليات

مخيمات النور

تعرضنا في المقال السابق لنماذج من مخيمات يفوح منها البؤس ويخيم عليها الشقاء، وتبرز ناحية من النفس البشرية التي سيطر عليها الشيطان واتخذ منه مطية يحقق عليها رغباته، ويحقق من خلالها قسمه الذي أخذه على نفسه ﴿**قال: فبعزتك لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين**﴾.

بعد هذا كله نريد أن نقف على نموذج فريد من المخيمات، هذا النموذج يشع منه النور، وترفرف عليه الملائكة بأجنحتها، فيه قوم يذكرون الله فيذكرهم الله فيمن عنده، وفيه فتية آمنوا بربهم فزادهم الله هدى. تلكم المخيمات التي تصقل المواهب وتنير الطريق لكثيرين ممن اختاروا الخير وبحثوا عنه. يديرها رجال مخلصون يبحثون عن رضا الله فيما يعملون ويرجون فيه وجهه.

لو زرت واحداً من هذه المخيمات التي تنتشر اليوم في كل مكان لوقر في صدرك أن «الدنيا لا تزال بخير» وأن رسول الله ﷺ صادق فيما قاله كله، وأن طائفة من أتباع محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا تزال على الحق منصورة. يأتي ذلك في وقت بدأ اليأس يدب فيه إلى نفوس الكثيرين، مع أن اليأس لا يصل إلى قلب المؤمنين. ويأتي ذلك في وقت

بدأ فيها الشباب يغلبون جانب المتعة لما يحيط بهم من مغيرات لها كثيرة، كلها تتفق على أسلوب واحد فيه صد للشباب من عمل الخير وفيه دعوة دائبة لهم للانخراط في خدمة الشيطان.

تأتي هذه المخيمات لتنزع الشباب من الهاوية وتدلهم على الحق وتدعوهم إلى اتباعه في معسكر للشبيبة تتمثل فيه أعمال الخير قدوة للشباب من قبل إخوتهم الذين يتقدمونهم سناً.

والذين يجهلون مثل هذه المخيمات لا بد أن يقفوا منها مواقف سلبية؛ لأنهم لا يعلمون ما يدور فيها، بل إن البعض يعتقد أن هذه المخيمات أسلوب من أساليب إشاعة الفتنة في المجتمع من خلال عزل فئات من الشباب عن «الجو العام» الذي يعيشه المجتمع.

فالجو العام في أمريكا وغرب أوروبا ـ مثلاً ـ قائم على المتعة والمصلحة الشخصية بين الشباب، ويكفي أن تناقش شاباً غير منتم لتجد مصداق ما يذكر هنا. فالقوم قد فقدوا جل مقومات الاعتدال، وصاروا يعيشون على المتعة والمصلحة الشخصية. ولا أرى أن هناك من ينازع في هذا. ومثل ذلك ينطبق على الكثير من المجتمعات التي فقدت مقومات النبل والكرامة التي تمليها عليهم تعاليم ربانية لم ترسمها يد ذي مصلحة أو حاجة، بل خطتها حكمة إلٰهية صنعت هذا الكون وجعل الإنسان فيه خليفة، وحملته أمانة عرضت على السمٰوات والأرض والجبال فأبت أن تحملها وأشفقت منها فحملها الإنسان. ووسط هذه المجتمعات تقام مثل هذه المخيمات التي تحاول أن تحمل الأمانة وتحملها سواعد الشباب وحكمة العلماء وحماس المخلصين ونزاهة الرجال وبراءة المقصد. فلا غرو أن يشع من هذه المخيمات النور، ولا غرابة أن تصل فيها أذهان الشباب، ولا عجب أن توجد نماذج حية تحمل الخير بين ظهرانيها وتنشره على الباطل فتدمغه.

إن فكرة مخيمات الشباب المسلم تقوم على زرع الرجولة في الرجال، فهي بهذا معسكرات تربوية وتثقيفية وتعليمية في آن واحد. فالعبرة في النظر إلى برامج المخيم شاملة، وليس في جلوس الشباب أمام عالم يحاضر أو ندوة تطرح فيها قضية للنقاش. بل إن هذا المخيم يبدأ مع أذان الفجر حيث يؤدي الشباب صلاة الفجر جماعة ـ رغم ما يعلو بعض الوجوه من عيون غشاها النوم ـ ثم تبدأ البرامج المختلفة من تمارين رياضية ومسابقات ثقافية وأنشطة بين الأسر، ويتخلل ذلك المحاضرات والندوات، ولا تخلو من جانب التسلية والترفيه، ومخيمات تدار بهذا الأسلوب لا بد لها أن تخرج الرجال العمالقة الذين يحملون الأمة على أكتافهم.

في بعض مجتمعات المسلمين تنظم مثل هذه المخيمات للفتية الذين يمرون بمرحلة خطرة في حياتهم فتعمل هذه المخيمات على توجيه الرغبات وكبح جماح الاندفاع والحد من الغلو في الدين أو التفريط فيه أو الإفراط فيه. وهذه المخيمات التي تكتنف مثل هذه الفئة من عباد الله لها أسلوب خاص في إدارتها يقوم على المعاملة الكريمة لشباب يمرون بمثل هذه الفترة من حياتهم. وهذه الفئة من الشباب تواجه عادة عدم فهم لما يقومون به في مثل هذه المخيمات. سوء الفهم هذا نابع من الوالدين الذين لم يعتادوا على مثل هذه الأساليب في حياتهم الغابرة. ولا يجيزون أن يخرج الفتى وهو بهذه السن لينفق الأيام والليالي بعيداً عنهم، في وقت يعتقدون فيه أنهم خير من يفهم ظروف ابنهم ورغباته وميوله وأحاسيسه بل وأفكاره. يضاف إلى ذلك نزعة الأبوة والأمومة الكامنتين فيهم ورغبتهم في أن يزووا أبناءهم بينهم. هذه تؤدي بهم إلى أن يقفوا مواقف غير مريحة تجاه انخراط أبنائهم في مثل هذه الأنشطة، خاصة إذا كانت تتخلل أيام الدراسة المنهجية التي تتأثر بذهاب الأبناء في مخيمات بعيدة عن

المدرسة. ولا يلام الآباء الذين لم يعتادوا على مثل هذا، وهم بحاجة إلى التوعية والتذكير بأهمية مثل هذه المخيمات وتأثيرها المباشر والبعيد. وكثيراً ما يقتنع الآباء وتقتنع الأمهات حينما يضعهم الشاب أمام الأمر الواقع ويبرز لهم البديل الذي يمكن أن ينهجه كل شاب لم يوفق في ارتياد المخيمات والمساهمة فيها والانضمام إليها.

مخيمات النور هذه تملأ الأرض شرقاً وغرباً، فهي - ولله الحمد - لا تقتصر على بلاد المسلمين فحسب، بل تعدتها إلى بلاد فيها أقليات مسلمة، فالمخيمات التي تعقد في البرازيل تعقد مثلها مخيمات في هونج كونج واليابان، بل وفي الصين. وتجلب لها مجموعات العلماء والمفكرين المسلمين من كل مكان. وهي ظاهرة صحية أثبتت جدواها بدليل الإصرار على القيام بها، وبدليل ازدياد أعدادها وأعداد من ينضمون إليها.

وكثيرون ممن يرتادون المخيمات اليوم كانوا قبل ذلك ممن لا يتوقعون أن يمروا عليها مروراً، وذلك لأنهم لم يعلموا ما يدور بها، وعندما شاركوا فيها بتأثير صديق أو زميل مرة واحدة ورأوا المجموعات من الشباب منتظمة يحترم بعضهم بعضاً ويتفانون في خدمة بعضهم بعضاً، عندما رأوا ذلك رأي العين، وعندما صفت الآلاف من الشباب في بلاد خيم عليها الظلام صفاً جميعاً خلف إمام واحد يصلون الفجر، اقتنع هؤلاء بهذه الفكرة وأضحوا من دعاتها والحاثين عليها والجالبين إليها أصدقاءهم وزملاءهم الآخرين، خاصة أن هذه المخيمات ربما أقيمت في فترات العطلات الرسمية التي يحتفل فيها أهل البلد من غير المسلمين بمناسبة من المناسبات الدينية التي تقرع لها الأجراس ويدار فيها البخور نهاراً وتقام فيها المآتم ليلاً، في مثل هذا الجو تقام مخيمات النور فتستيقظ قلوب وقلوب وتتأمل أذهان وأذهان، وتتفكر عقول وعقول

بحكمة الله في خلقه، وعندها يدرك الكثيرون أن هذه المخيمات إنما أقيمت وتقام لتساهم في إنقاذ جيل الأمة المسلمة من ضياع وانحراف وتدهور يهدد شباب العالم، وتخطط له أياد خفية تعمل ليل نهار في نشر الرذيلة في مجتمعات العالم بما فيها مجتمعات المسلمين. وقد صرح أحد رجالات هذه الأيادي الخفية أن إسرائيل لن تقوم لها قائمة ما دامت فلول شباب المسلمين تتزاحم في المساجد حول خطيب الجمعة في مدينة زادت فيها المآذن على الألف وضاقت المساجد فيها بمرتاديها من الرجال والشباب.

لا عيد في ميروت..!!

على بعد ثمانين ميلاً شمال العاصمة الهندية «نيودلهي» وفي ولاية أوتاربراديش تقبع مدينة ميروت «بالميم» ويقطنها خمسمائة ألف نسمة (٥٠٠,٠٠٠) من المسلمين والهندوس وغيرهم من الطوائف الأخرى. وبين المسلمين والهندوس مناوشات قديمة تعود إلى ما قبل الاستقلال. وكانت باكستان الشرقية «بنغلاديش» وباكستان الغربية محاولة لحصر المسلمين في هاتين الولايتين وإعطاءهم الاستقلال الكامل دولة ذات سيادة تامة. ونزح كثير من المسلمين إلى باكستان الإسلامية وكان محمد علي جناح أول زعيم مسلم للدولة الإسلامية في شبه القارة الهندية.

ولم ينزح كل مسلمي الهند إلى الدولة الإسلامية في باكستان، ولعله ومنذ عام ١٩٤٧ م والهندوس يشعرون أن لا مكان للمسلمين في الهند، وكان هذا الشعور واضحاً من خلال مجموعات من الاستفزازات ضد المسلمين في الهند قبل ذلك التاريخ وبعده.

والمشكلة تتفاقم في «ميروت» بالميم وفي دلهي القديمة حيث تصل هذه الاستفزازت إلى حد نثر الرعب بين المسلمين، حتى في بيوت الله والناس يصلون يدخل عليهم الهندوس ويطعنونهم من الخلف. وتحاول الجمعيات الإسلامية في الهند وباكستان والمملكة العربية السعودية

والأردن وفي كل مكان أن تلفت نظر الحكومة من خلال سفرائها إلى ما يدور في ميروت ضد المسلمين. ويؤكد الأستاذ جسر بن عبد العزيز الجاسر في زاوية أضواء بالجزيرة (٢٩/ ٩/ ١٤٠٧ هـ العدد ٥٣٥٣) أن «رجال السلطة يؤازرون الهندوس في حملتهم للانتقام من الأغلبية المسلمة في ميروت ودلهي. . .». ولم يقف لفت نظر الحكومة على الجمعيات بل هبت الحكومات الإسلامية إلى إبداء استيائها لما يحصل للمسلمين في هذه البلاد عموماً. وللأستاذ الجاسر تعليق في الزاوية ذاتها ليوم الأحد (٢٧/ ٩/ ١٤٠٧ هـ العدد ٥٣٥١).

وفي بريطانيا أدان اتحاد المسلمين الهندي عمليات القتل التي تمارس ضد المسلمين وناشد جمعيات حقوق الإنسان التدخل المعنوي في سبيل إتاحة الفرصة للمسلمين في الهند ليؤدوا شعائر دينهم ويقيموا صلاة عيد الفطر بسلام. والذي يبدو أنّه لن تكون هناك صلاة عيد في ميروت، ولن يكون هناك عيد في ميروت، كما لم يكن عيد في كثير من البلاد التي يلقى أهلها ما يلقاه مسلمو ميروت.

وليس المهم هنا أن تعلن الأرقام الحقيقية لعدد الضحايا من القتلى والجرحى، ولكن المهم أن المسلمين هناك قد فقدوا نعمة الأمن، إذ يكفي أن يكون المرء هناك مسلماً لينال ما يناله على أيدي هذه الطوائف.

والذي يبدو أن القضية هذه لا تخضع للحلول السريعة، فتدخل القوات وحظر التجول وتفتيش البيوت بحثاً عن الأسلحة غير المصرح بها وغير ذلكم من الإجراءات إنما هي وسائل مؤقته لإخماد الفتنة إلى أجل. والقضية تحتاج إلى حل جذري فيه شيء كبير من «العقلانية» التي تبدو واضحة لكل رجل أو مفكر عادي خال من أي تأثيرات سياسية أخرى.

ولست من الخبرة ولا من حقي أن أذهب أكثر مما يتوقع من شخص بعيد، ولكن الذي يبدو من كل هذا أن المملكة المتحدة أو

(بريطانيا العظمى) كان لها الدور الفعال في هذه التركيبة الطائفية في الهند. وقد ورثت هذه الدور عن شركة الهند الشرقية قبل الاستعمار. ولا بد أن ندرك أن للمستعمر أيادي خفية بسطها أثناء نفوذه، وما ترك البلاد إلا وقد عمل على أن تظل هذه البلاد وكل البلدان التي كان يستعمرها في حاجة له.

وليس أولى من تنفيذ هذه الاستراتيجية من إيجاد مشكلات اجتماعية وقلاقل طائفية بين سكان البلد الواحد مما ينتج عنه ما نتج عنه في البلاد التي يعيش فيها أكثر من طائفة.

والموقف «العقلاني» والنظري هنا هو محاولة النظر في هذه المشكلات من منظور محلي بحيث تترك المؤثرات الجانبية والأجنبية خارج هذه النظرة. والموقف العقلاني أيضاً يوحي بأنه في بلد غير مسلم وفيه مسلمون لهم أسلوبهم المميز في التعامل مع الحياة عموماً ومع الآخرين، يملي هذا الأسلوب عليهم دينهم الذي ارتضوه وحري بالآخرين والحكومة على رأسهم أن يحترموا هذ الأسلوب ما دام أنه لا يتعارض مع التعاليم العامة للدولة. ولا نعلم أن الإسلام يتعارض مع أنظمة الدول غير المسلمة إلى درجة أن يثير المسلمون فيها القلاقل ويستفزوا غيرهم عليهم. ولكنهم ينتفضون عادة عندما يهانون في دينهم الذي يمثل معنى وجودهم في هذه الحياة.

وهكذا كانت المشكلة في ميروت حيث اعتدى أحد الهندوس على امرأة مسلمة في الشارع وكان ما كان مما لا يزال قائماً من فتنة لم تكن الأولى من نوعها، ويبدو أنها لن تكون الأخيرة كذلك.

كاهانا يهدد..!

وما دمنا عند الحديث عن مشكلات المسلمين لا يغيب عنا ما يلقاه

المسلمون في فلسطين المحتلة. ومن وراء ذلك كله يخرج المرء بمواقف صعبة جداً في مفهوم الإنسانية. واليهود لهم دور كبير في خرق المفاهيم الإنسانية والشواهد على ذلكم كثيرة شهدت بها الحروب التي مرت بالمنطقة ولا تزال تشهدها ساحة فلسطين. والغريب أن دولة بكاملها تسمي نفسها إسرائيل تحاول في الأيام الأخيرة التضييق الاقتصادي على المواطنين العرب المقيمين في فلسطين، فهي تحدد الكميات المتوقع منهم زراعتها، وهي تقلص من مساحة الأرض المسموح بزراعتها، وهي تقلص كميات المياه المصروفة لهذه الزراعة، وهي تقلل من المرشدين الزراعيين بين المزارعين العرب، وهي تحجب عن المزارعين العرب الإعانات التي تمنح لغيرهم والآلات التي تدور على مزارع الغير من حراثات وحصادات وآلات أخرى فيظل المزارع العربي يستخدم الدواب في ذلك كله. وفوق ذلك كله تحدد الحكومة كميات المحصول المسموح ببيعها، وتتبع ذلك من خلال التفتيش المستمر في الأسواق لمعرفة مصدر المنتجات المبيعة.

وهذا نوع ولا شك من أنواع الإرهاب لا يقل عن تحذير مائير كاهانا الأخير عدداً كبيراً من التجار المسلمين في منطقتي الود وعقبة السريا، ومطالبتهم بإخلاء محلاتهم التجارية بحجة أن هذه المحلات من ممتلكات اليهود!.

وعلينا ألا ننسى بقر بطون الحوامل وسحب أجساد الأبرياء في جهتين متقابلتين، وأنواع أخرى من الإرهاب المنظم لعل من آخرها موت جنين في بطن أمه التي تعمل في جامعة الخليل الإسلامية بعد أن قذف أحد الجنود اليهود قنبلة مسيلة للدموع انفجرت على مقربة من الموظفة وكان نتيجتها موت جنينها في بطنها.

والجنرال أموس يارون كان أحد مهندسي مذبحة صبرا وشاتيلا عام ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م وقد كان على سطح إحدى البنايات وهو يشرف على

المذبحة. هذا الجنرال رقي في العام الماضي إلى رتبته الحالية وعين ملحقاً عسكرياً بحصانة دبلوماسية في السفارة اليهودية في واشنطن. وذلكم نوع من المكافآت التي يلقاها هؤلاء نتيجة ما يقدمونه لدولتهم من ضحايا الحقد اليهودي في محاولة لضمان وجود هذا الكيان المصطنع، ومهما يكن من أمر فهيهات له أن يضمن وجوده ما دام يناقض تماماً فطرة الله التي فطر الناس عليها.

مثالان من المسلمين لم يوفق أصحابهما في أن ينعموا بالعيد، ولكنهم لم ولن ييأسوا من فرحة العيد فإنّه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

الجاليات في المجتمعات المسلمة..!!

تعيش في المجتمعات المسلمة مجموعات غير مسلمة، مختلفة في انتماءاتها العقدية، منها ما هو جزء من التركيبة الاجتماعية فيتمتع بحق المواطنة الذي يتمتع به كل مواطن، وإن طغى التجمع غير المسلم في مجتمع فذاك مخالف للتصور السليم، ولكنه حاصل الآن بتأثير من الاستعمار القوي «الإمبريالية» الخارجية.

وفي المجتمع المسلم المتماشي مع التصور السليم تعيش هذه المجتمعات غير المسلمة وتخدم هذا المجتمع بطرق مختلفة. ويهمنا هنا تلكم الجماعات غير المسلمة المستقدمة إلى مجتمع مسلم قصداً للقيام بعمل مهني أو فني أو حرفي. وهذا غالب في المجتمعات المسلمة الغنية الناهضة القليلة العدد من السكان كما هو الحال في منطقة الخليج. ومن عاش في هذه المنطقة أو زارها أدرك بحق بروز هذه الظاهرة.

وغالبية الجاليات الفنية والمهنية والحرفية تقدم إلى المجتمع من آسيا، شرقها وجنوب شرقها، ومنها المسلم وهذه تنال حظاً في تطبيق الإسلام على نفسها ما أرادت ذلك، ومنها غير المسلم الذي يحتاج إلى أن يدرك خلفية المجتمع الذي يعيش فيه ليعمل.

وعندما كثرت هذه الفئة وزادت عدداً رأى بعض أهل الخير من

الدعاة إلى الله أنه على المجتمع واجب الدعوة إلى الله في هذا الوسط. فاهتم الطيبون وبدوأ برامج للدعوة عن طريق الدروس المنتظمة والمحاضرات المنقطعة وترجمة الكتب الموثوقة الموثّقة. وعن طريق متابعة من يدخل في الإسلام من خلال هذه الدروس والمحاضرات والترجمات الموجهة إلى حديثي العهد بالإسلام، ويزيد الاهتمام بهؤلاء عندما تنظم لهم رحلات إلى مكة المكرمة والمدينة النبوية قصداً إلى العمرة أو الحج أو كليهما بمكة المكرمة والمشاعر، وقصداً إلى زيارة مسجد رسول الله ﷺ في المدينة النبوية.

والغرض من إثارة هذا الموضوع هو أن هذه الأعمال إنما تدخل في الأعمال التطوعية، وإن كانت تحت إشراف مؤسسة دعوية فإنما هذا يأتي من قبيل الدعم المتواصل الذي تقوم به هذه المؤسسة أو تلك، ولكنها لا تتحكم في هذه الأنشطة إدارياً أو مالياً. وإنما يقوم عليها رجال ـ نحسبهم من المخلصين لله ـ ممن يبحثون عن رضا الله من خلال تبليغهم عن نبينا محمد ـ عليه السلام ـ ولو آية. ويدعم مشروعاتهم فاعلو الخير الذين يدركون أهمية هذا العمل ويحتسبون به الأجر والثواب من الله.

ومثل هذه الأنشطة مطلوبة في المجتمع المسلم وغير المسلم، فالنّاس يبحثون عن الحق، ويبحثون عمن يدلهم على الحق بالحكمة واللين والرفق. ولا تنقصها الإدارة الناجحة، ولا ينقصها الرجال والنساء المخلصون والمخلصات، وإنما هي بحاجة ملحة إلى الدعم المعنوي ثم المادي، فهي لا تقوم بواحد منهما فحسب، بل بهما كليهما، تقوم وتستمر في الدعوة فتزيد من سواد المسلمين من خلال أولئكم الأشخاص الذين يعلنون إسلامهم بأعداد مرتفعة ـ ولله الفضل والمنة ـ.

وهي بحاجة إلى أن تظل أنشطة خيرية من تلكم المؤسسات التي لا تسعى إلى الربح. وإنما يقوم بها من يقوم عليها على سبيل التطوع سعياً إلى الوصول إلى الهدف المذكور سلفاً.

وهي تشق طريقها بنجاح بدليل التوسع في الأنشطة على المستوى الأفقي حيث كثرت المكاتب وتوزعت على المدن الكبار في المنطقة، وربما وجد أكثر من مكتب للدعوة في المدينة الكبيرة الواحدة. وتلكم خطوة من خطوات تتوقع منا نحن المسلمين في سبيل نشر الإسلام، والوقوف أمام التحديات الكثيرة التي تواجه المسلمين اليوم، وهم يحاولون الوقوف على أقدامهم، فتحية للرجال العاملين، وكان الله في عون الجميع.

هيئة الأقليات المسلمة..!!

الإسلام ـ بفضل الله ـ في انتشار مستمر وسريع هذه الأيام بفضل الوعي الديني لدى المسلمين جماعات وأفراداً، وهذا الانتشار السريع هو ما يحاول البعض أن يطلق عليه مصطلح «الصحوة الإسلامية».

وانتشار الإسلام في بلاد غير المسلمين لا يقل سرعة عنه في بلاد المسلمين، بل ربما فاق الأول الثاني؛ لأن بعض بلاد المسلمين لا تريد لهذا الانتشار أن يكون أصلاً، ناهيك عن سرعته واستمراره. وإذا تحققت هذه الدعوى فإن الحاجة إلى دعم مشروعات الأقليات المسلمة خارج البلاد الإسلامية تزداد بسرعة تفوق سرعة الانتشار نفسه.

ويظل الاهتمام بالأقليات المسلمة مرهوناً بالوعي الفردي أو الوعي غير المنظم، فنجد جامعة من الجامعات العربية الإسلامية تهتم بالأقليات المسلمة فتنشىء لهم مركز دراسات فيها، ولكن هذا المركز يصاب بشيء من الخمول لا يجاري فيه سرعة انتشار الإسلام في بلاد غير المسلمين، والسبب هو أن الوعي الفردي الموجود سالفاً لم يعد موجوداً الآن بحكم التغيير الدوري الذي يطرأ على كثير من الجامعات، وعلى كثير من الأفراد.

وعقدت الندوة العالمية للشباب الإسلامي مؤتمراً عن الأقليات

خرجت بمجموعة طيبة من البحوث والدراسات والتي أفضت إلى توصيات لا يبدو أن شيئاً منها فعَّالاً قد أخذ طريقه إلى التنفيذ، وذلك لأن الأمر ليس مقصوراً على «التوجه الأكاديمي» للجهود بقدر ما هو مفتقر إلى الإدراك العام لمحنة الأقليات المسلمة في العالم.

وتحت هذا العنوان نشر الكاتب الإسلامي محمد عبد الله السمَّان كتاباً عن الأقليات المسلمة في العالم، وقد صدر عن دار الاعتصام سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م وشمل في تحليله الأقليات المسلمة في آسيا وفي الغرب. وأراد أن ينهي التحليل بمخرج من هذه المحنة اشترطه بمرحلتين:

الأولى: توافر وحدة سياسية قوية للعالم الإسلامي.

والأخرى: خطة للعمل بعد توافر المرحلة الأولى. وكأنه اشترط للمرحلة الثانية تحقق المرحلة الأولى. وواقع الحال يدل على عدم قرب تحقق الوحدة السياسية في العالم الإسلامي، ناهيك على أن تكون وحدة قوية، ولكن المرحلة الثانية المتعلقة بوضع خطة للعمل ممكنة من خلال قيام هيئة «خيرية» مركزة على الأقليات المسلمة تستطيع أن تجمع شتات المعلومات عن الأقليات وتحدِّث هذه المعلومات بما فيها البيانات الإحصائية، وتكون المتحدث الرسمي للأقليات أو الجاليات، ويقصد بالمتحدث الرسمي هنا الاقتصار على جوانب تبني المشروعات، وليس بالضرورة التعبير عن آراء الجاليات في الأحداث السياسية وغيرها مما يعصف بالأمة الإسلامية منذ أن بدأت تحاول الوقوف على قدميها.

ولعل هذه الهيئة تقوم بدور المنسق كما يعمل الآن البنك الإسلامي للتنمية وصندوق التضامن الإسلامي، رغم الفارق في أن الهيئة المهتمة بالأقليات ستكون هيئة مستقلة «خيرية» لا تنتمي إلى أي دولة من الدول التي يتوقع أن يأتيها الدعم الرسمي والشعبي منها.

وليس القصد هنا رسم سياسة أو لائحة نظام لمشروع لم ير النور بعد، ولكنها الاحترازات التي تنفي عدم التحمس لمثل هذه الفكرة وعدم السعي إلى البدء فيها في بيئة كثرت فيها الجمعيات الخيرية التي بدأت تؤتي ثمارها على المستوى العالمي لولا ما عصف بالأمة من فتنة هي الآن تواريها التراب. ولعل السعي إلى دراسة هذه الفكرة يدخل في المفهوم العام للاهتمام بأمر المسلمين ممن هم منهم، وكان الله في عون الجميع.

عقيدة الأقليات المسلمة

لعله لا يفهم من هذا العنوان أن هناك اتجاهاً جديداً استأثرت به الأقليات المسلمة في العالم وخاصة في القارتين أوروبا وأمريكا اللتين حوتا ـ وتحويان ـ مجموعات متباينة من حيث الخلفية الاعتقادية من المسلمين. في أمريكا كان شاب من الهند يرتاد المركز الإسلامي في مدينة كبيرة يصلي فيه الجمعة ويحضر جلسات علمية أيام السبت والأحد ويُقرأ فيها كتاب الله ثم يُفسر ثم تكون حلقات في السيرة والفقه والعقيدة وغيرها. عندما قرب رحيل هذا الشاب إلى بلاده لزيارة أهله والدخول في حياة زوجية طرح مشكلة حيَّرته كثيراً وهي أنه بعد أن اكتسب حصانة عقدية سيجبره أهله هناك على زيارة ضريح من أضرحة الأولياء نوعاً من الفرض عليه وقد عاد من ديار كلها كفر وفساد. فيعلن أمام هذا الضريح تجديد توبته إلى الله(!).

يقول صاحبنا إنه لو رفض زيارة هذا «المزار» لاتهمه أهله بالكفر، ولو حاول إقناعهم بفساد هذا المنهج لحكموا عليه بأنه قد جاء بدين جديد وقد أفسدت أمريكا عقيدته: كان يقول هذا في منتهى الجدية ولا يملك الأمر في إقناع والديه بعدم جدوى هذا الأسلوب، فقد رسخ في أذهانهم وصار جزءاً من عبادة الله والتقرب إليه وقد ورثوه كابراً عن كابر.

ويحدثنا بعض المقيمين المسلمين من عرب شمال إفريقيا الذين تركوا ديارهم سعياً وراء لقمة العيش أنهم إن لم يستفيدوا من مقامهم في أوروبا إلا صلاح العقيدة لكان ذلك كافياً في أن يهون عليهم ويلات الغربة والبعد عن الأرض والأهل. بل إن البعض يذكر أنه إنما جاء إلى أوروبا ليمكث فيها سنين لا تصل إلى الخمس لينتهي به المقام إلى أن تصل به السنون إلى خمس وعشرين ويطمع في المزيد. يذكر هذا الرجل - وكثيرون معه - أنهم إنما تعرفوا على الإسلام على حقيقته خالياً من البدع والخرافات؛ لأنهم نهلوا معرفتهم الجديدة للإسلام عن طريق المراكز الإسلامية هناك. أما الأولاد فيتسابقون في حفظ كتاب الله وتجويده حتى أنّه لينتابك شعور طيب وأنت تسمع إلى قراءة أحدهم وقد لا يبلغ العاشرة من عمره فتحمد الله - سبحانه وتعالى - أن قيض لهؤلاء من يعلمهم أمور دينهم ويعقد معهم الجلسات تلو الجلسات، خاصة أنهم جيل من آباء لم ينالوا حظاً من التعليم المنهجي، ولم يحصلوا على شهادات دراسية تعينهم - بعد الله - على تحسس خطواتهم ومصير أبنائهم، ولكنها الفطرة التي تجددت فيهم.

والحق أن سلامة العقيدة لا تقتصر على أولئك المسلمين الذين ينحدرون من سلالات مسلمة طرأ على عقيدتها شيء من الخلل، سواء عن طريق المزارات والأضرحة، أو عن طريق الخلل في أساليب العبادة عموماً والصلاة والصوم والحج على وجه الخصوص، ولكن سلامة العقيدة انعكست على أولئك الذين دخلوا حديثاً في الإسلام فوفقهم الله إلى مصادر «صافية» نقلت لهم دين الله صافياً من كل غبش، وصاروا ينظرون إلى أي حركة في العبادات والمعاملات وأي تصرف فيهما ويعرضونه على ميزان البدعة، فما ثبت فيه أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - وصحابته - رضوان الله عليهم - لم يطرقوه تركوه وعدوه من

البدعة الضلالة، وصفاء العقيدة هذا كان له أكثر الأثر في إقدام البعض على إعلان الشهادتين.

ولعل هذا الحديث لا يعطي الانطباع أن العمل الإسلامي بين الأقليات المسلمة صاف كل الصفاء، فهناك القاديانية والبهائية والأحمدية والرافضة قد ضربت بأطنابها هناك ولاقت ـ وتلاقي ـ دعماً من أياد خفية خلفية، ولها مراكزها ولها منشوراتها، ولكنها في مجمل نشاطها مقتصرة على أولئك الذين يرفضون رفضاً قطعياً البحث عن الحكمة وكأنهم آثروا أن يدافعوا عن معتقدهم ولو كان باطلاً في قرارة أنفسهم فاتسم منهجهم بالعناد والمكابرة والمراء، حتى يكاد البعض ييأس من نقاشهم والدخول معهم في حديث مثمر. هؤلاء موجودون، ولكن أتباعهم ـ بفضل من الله ـ محدودون، بل إن هناك من أتباعهم من يعلن رفض ما يأتون به حين يتبين لهم عن طريق النقاش والمجادلة بالتي هي أحسن أن ما هم عليه هو عين الباطل.

يحدثني أحد الذين عادوا بعد ضلال طويل أنه عاد عن طريق الأحمدية، ولكنه لم يقبل كل شيء على علاته فأصبح يزن الأمور بميزان العقل والنقل خاصة عندما واجهوه في مسألة النبوة وفكرة ختمها عند محمد ﷺ، يقول إنهم لم يصرحوا له بخلاف ذلك لقرب عهده بهم، ولكنهم بدأوا يلحون عليه مما جعله يطيل التفكير في منهجه الجديد الذي يريد من ورائه العودة إلى الله ـ تعالى ـ فحري به أن يعود إليه فلا يخرج من ضلال إلى أضل منه، فاتصل بالمركز الإسلامي في مدينته وصار يتردد عليه ويجالس القائمين عليه جلسات طويلة يعرضون عليه الحق بحكمة وهدوء، حتى ضرب بأولئك عرض الحائط بعد أن تعرف على عقيدتهم وأساليبهم في التضليل ليصل به هذا التعرف إلى أن يقترح عليه أحد القائمين على المراكز الإسلامية بكتابة ما واجهه ليصدر في مقالة تنشر

لعدد غير قليل من الناس، ولكنه منهمك هذه الأيام بالتعرف أكثر على دين الله وتربية أولاده ـ وأمهم لا تزال على دين قومها ـ تربية إسلامية حقة بعد أن تعرض ولده لأساليب الأحمدية التي تعرض لها هو، فهو في سبيل إخراج ابنه من هذه الزلة.

والذين يترددون على المساجد والمراكز الإسلامية هناك يدركون أن مستقبل الإسلام في أوروبا وأمريكا يبشر بخير من حيث العدد ومن حيث الصفاء في العقيدة. ويدركون أيضاً أن هناك أقواماً آثروا الضلالة على الهدى فنسوا الله فأنساهم أنفسهم. وهؤلاء لم يُتركوا ولكن يد الخير تمتد إليهم بين فترة وأخرى. وهم أيضاً ينظرون إلى المساجد والمراكز نظرة خاصة، فهم مع ضلالهم وانحرافهم في العقيدة والعبادات والخلق لا يزال لديهم بقية من أمل في العودة، يتضح ذلك عندما يشب أبناؤهم على لغة غير لغتهم فيحاولون تعليم الأبناء لغة القرآن، ولكنهم لا يملكون الوقت وهم قد أصبحوا يعبدون الوقت، فيبحثون عن المخرج فيجدونه في المراكز الإسلامية التي تقدم دروساً في القرآن ولغة القرآن في أيام لا تتعارض مع دراسة الأطفال فينخرط الأبناء في هذه المراكز لتعلم اللغة بادىء ذي بدء، ولكن تعلم اللغة في المراكز إنما يراد من ورائه خدمة كتاب الله ـ تعالى ـ لذلك تُستقى أساليب التدريس من هذا المعين الصافي فيجد الطفل نفسه أمام ظاهرة لم يتعرف عليها من قبل، ثم يبدأ النور يدب فيه. هذا من جهة، ومن جهة أخرى ترى الأب يحضر ابنه ثم يعود لأخذه بعد نهاية الدرس دون أن يدخل المركز ويحادث القائمين عليه، ولكن العلاقة لا تدوم على هذا الحال، إذ لا يلبث الأب أن يدخل ليسأل عن مسيرة ابنه في التعلم، فيجد رجالاً تعلوهم السماحة ويرفرف عليهم الهدوء وينير وجوههم الإيمان، فيخرج بانطباعة جديدة لا تلبث أن تتمكن في نفسه مع مرور الأيام وتكرار الزيارات وتتطور إلى تحية المسجد ـ مع

أن الرجل لا يصلي مطلقاً ـ وتحية المسجد تجر إلى إقامة الصلاة وحضور خطبة الجمعة والاستفادة من بعض الكتب، ثم صلاة العيدين وما فيهما من جمع غفير يكاد لا يصدقه من لم يره من قبل، كل هذه تجذب هذا الرجل إلى طريق الحق، فلا يلبث أن يعود إلى الله تعالى عودة صافية خالية من بعض الموروثات والمخلفات التي كانت ـ ربما ـ سبباً في بعده، أو عاملاً من العوامل التي شجعته على البعد عن دين الله، فيكون الابن سبباً في هداية أبيه ليصر الأب بعد ذلك على ألا يكرر التجربة التي مر بها في شخص ابنه.

«المسلمون» العدد السابع والتسعون
١٢ ـ ١٨ ربيع الآخر ١٤٠٧ هـ/ ١٣ ـ ١٩ ديسمبر ١٩٨٦ م

عمرُ.. يجمع أهل بَدْر..

ـ ١ ـ

تبرز لدى الجاليات المسلمة «الأقليات» المسلمة في بلاد غير المسلمين ظاهرة تتعلق بالتسرع في إصدار الأحكام الشرعية على حوادث تحصل، ويحتاج المسلم إلى معرفة حكمها. فيتصدر للفتيا رجال قد لا يملكون خلفية قوية في الشريعة وفقه الإسلام إلا ما لديهم من ثقافة عامة «فكرية» عن أمور عمومية في الإسلام، كالذي نقرأه لدى مجموعة غير يسيرة من الكتاب الإسلاميين ومحاولتهم رصد الحكمة من الأشياء سعياً وراء الترغيب فيها وتقريبها من القبول، أو دفاعاً عن شبهة ألصقت بها من قبل قوم آخرين عن قصد في كثير من الأحيان وعن غير قصد في بعض الأحيان.

ويعزى هذا الأمر في كثير من الأحوال إلى افتقار هذه المجتمعات إلى علماء الشرع المتمكنين الذين تهيأت لهم ظروف الدرس والتتلمذ على علماء آخرين أفذاذ وعايشوا الوقت والعصر فانطلقت فتاواهم مستمدة من مصادر الشريعة المعتمدة ومتمشية مع الواقع حتى ولو كان هذا الواقع ضيقاً من حيث المكان معزولاً عن الآخرين، وهذا كله مع التحفظ العام على إصدار أي حكم إذا كان في المسألة المسؤول عنها أي التباس أو عدم وضوح لدى المسؤول أو عدم إيضاح من السائل.

ـ ٢ ـ

وأمر الفتوى أمر غير يسير، ولها رجالها العالمون وليس في الإسلام كهنوت، ولكن في الإسلام علم ورجال علم، وللفتوى مؤهلات لا بد من توافرها كلها في المتصدر للفتوى وهي ما تسمى بشروط الفتوى، وينكر أشد الإنكار على من يفتي بغير علم، أو يجعل رأيه مقياساً في إصدار الأحكام. جاء رجل مسلم إلى مسؤول في أحد المراكز الإسلامية في إحدى البلاد الأجنبية وسأله عن حكم «سرطان البحر» فأفتاه بأنه حرام! وأحس المفتي بأنه قد تسرع ولكن السائل قد أخذ الحكم منه وانصرف، لكن المفتي لم يلبث أن سأل أحد العارفين عن الحكم وأخبره أنه أفتى السائل بحرمته، فسأل المسؤول الأخير عن السر في تحريمه فقال المفتي بأنه لا يميل إلى سرطان البحر ولذا حرَّمه!! وعلى هذا المنوال قد تصدر الأحكام والفتاوى بالرأي، أو ربما أحياناً بالمزاج في بعض تلك البلدان التي يوجد بها أقليات إسلامية، وينقصهم العلماء العارفون بالأحكام الشرعية وقد وردت نصوص بتحريم فتوى الجاهل.

ـ ٣ ـ

والمفتي بغير علم مثل من يدل الركب وهو لا يعلم الطريق! ومن يزاول الطب ولا معرفة له به، بل هو أسوأ حالاً من هؤلاء كلهم ـ كما يشير فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي في كتاب له صدر عن دار الصحوة للنشر بالقاهرة وعنوانه «الفتوى بين الانضباط والتسيب»، وقد أخذت البلاد الإسلامية منع من يفتي بغير علم، وقد فعل هذا بنو أمية فمنعوا طائفة ممن تصدروا للفتيا بغير علم ولا سلطان مبين. ويطلب «أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ أن يحجر على المفتي الجاهل والمتلاعب بأحكام الشرع».

وقد رئي «ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن» شيخ الإمام مالك بن أنس يبكي فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: استفتي من لا علم له وظهر في الإسلام

أمر عظيم! قال: ولبعض من يفتي ههنا أحقُّ بالسجن من السَّراق!. ويؤثر عن «ابن مسعود» ـ رضي الله عنه ـ قوله: والله إن الذي يفتي الناس في كل مسألة لمجنون. كما يؤثر عنه ـ رضي الله عنه ـ قوله: نحن في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه، وسيأتي زمان كثير خطباؤه قليل علماؤه، ويقول غير واحد من السلف: إن أحدهم يفتي في المسألة لو عرضت على عمر لجمع لها أهل بدر! وقد كان السلف يتورعون عن الفتوى وينهون عن العجلة فيها.

ـ ٤ ـ

واشترط أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ على من يريد التصدر للفتيا بالإضافة إلى العلم بكتاب الله علماً جامعاً والعلم بالسنن والأسانيد، اشترط معرفة المفتي بأقوال الفقهاء والمجتهدين، وسأله أحدهم: إذا حفظ الرجل مائة ألف حديث (١٠٠,٠٠٠) يكون فقيهاً؟ قال: لا، قال: فمائتي ألف (٢٠٠,٠٠٠)؟، قال: لا، قال: فثلاثمائة ألف حديث (٣٠٠,٠٠٠)؟ قال: لا، قال: فأربعمائة ألف (٤٠٠,٠٠٠)؟ قال بيده هكذا وحركها. والفئة التي نحن بصدد الحديث عنها في بعض البلاد الإسلامية أو تلك البلدان التي يوجد بها أقليات إسلامية لا يكاد الواحد منها يقيم حديثاً واحداً نصاً وسنداً، ويلجأ إلى «ما معناه»، ومع هذا تجده يفتي في الأمور الكبار وهو لا علم له بالأصول، ناهيك عن الفروع. ونحن في زمان يكاد الحفظ فيه يتلاشى من الصدور ويعتمد اعتماداً كبيراً على المكتوب أو المطبوع، وتظهر الدعوات التي تقلل من شأن الحفظ وتدعو إلى نبذه والاستعاضة عنه بالفهم، وكأن الحفظ قد ارتبط دائماً بعدم الفهم، ويعيبون على أصحاب الملكات في الحفظ ويتهمونهم في قدراتهم الذهنية والإدراكية.

ويؤثر عن «ابن حنبل» ـ رحمه الله ـ قوله: «إن على من ينصب نفسه

للفتيا أن يكون ذا خصال خمس مجتمعة وهي: أن تكون له نية، فإن لم تكن له نية لم يكن عليه نور، ولا على كلامه نور، وأن يكون له حلم ووقار وسكينة، وأن يكون قوياً على ما هو فيه وعلى معرفته، والكفاية (من العيش) وإلا مضغه الناس، ومعرفة الناس.

ومعرفته للناس ربط بين العلم والواقع، فالأمر هنا مناط بالتطبيق وليس مجرد «كلام نظري» عابر، ولذا يجب أن تراعى في الفتوى أمور معينة، ولعل هذا سبب من أسباب تعدد إجابات العلماء حول مسألة واحدة، وفي هذا تيسير على الناس، فقد يفوت على البشر إدراك كل الظروف المحيطة بالمسألة، وقد يتوسع آخرون من خلال «تشخيص» المسألة مع السائل، رغم أن بعض العلماء لا يحبذ تكرار السؤال من قبل سائل واحد على أكثر من عالم إلا أن يواجه العالم الأول السائل بسؤال فلان من العلماء تورعاً منه، وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون، فيسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول، وما منهم من أحد يحدث بحديث أو يسأل عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه!

ـ ٥ ـ

والفتوى نظرة موضوعية حول مشكلة تحل لا تتدخل في إصدارها الأهواء والأغراض، أو التقرب من عزيز، أو الإجحاف على بعيد، أو التهاون مع قريب، أو محاولة مسايرة تيار طغى على مجتمع من المجتمعات في فترة من الفترات، إذ الملاحظ أن الفتوى تبقى ويرجع إليها الناس بعد زمان، ونحن لا نزل نرجع إلى مجموع الفتاوى «لابن تيمية» ـ رحمه الله ـ رغم أنه كان في عصر غير عصرنا هذا، ونعتبرها مرجعاً نعود إليه عند النظر في مسألة من المسائل، ومن هنا وجبت موضوعية الفتيا، وكان «ابن تيمية» قوياً في هذا عرفت فيه النزاهة

والتجرد. وهناك فتاوى أخرى لعلماء مضوا وأبقوا علماً نافعاً يشفع لهم يوم القيامة فوضعوا معالم على الطريق أعانت المهتدين وطالبي العلم.

٦ ـ فئات أخرى

على أن هناك فئة ممن تلقوا العلم وأدركوا شيئاً من كنهه وتصدروا للفتيا في زمان برزت فيه مجموعة من عوامل الغزو الفكري الذي انقاد البعض له بسبب احتقار للذات وتصغير لها، أو طلباً للتكسب، أو للتقريب إلى القادمين من بعيد، ونحن ندرك أن العالم الإسلامي تعرض لموجة من الاحتلال الأجنبي عمت معظم أرجائه.. وعمل الاحتلال على تقريب نفر من «العلماء» في تلك البلدان واستصدر منهم فتاوى تتعلق بالتعامل مع المحتل، وكان أبرزها وضوحاً محاولات المحتل «نسخ» فريضة الجهاد؛ لأنها تهدد وجوده، وقصر الجهاد على «الدفاع عن النفس» رغبة في الحد من التوسع الإسلامي، وكان هناك من تجرأ وأصدر الأحكام المناسبة، بل ظهرت في بعض بلاد المسلمين «الفرق» التي آزرت الاحتلال وقضت على مصطلح «الجهاد» في الفكر والفقه الإسلامي، فكان أن لقيت كل دعم وتشجيع من أولئك المحتلين، فقد خدم هؤلاء أغراض المحتل بأجمل مما يخدمها هذا الوافد من بعيد.

ومثل هذه واضحة في بعض إجراءات تلك البلدان تصدى لها **﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾** [الأحزاب ٢٣]. ونبهوا لها ووقفوا وقفات مشهورة أمام التيارات الزاحفة من أفكار دخيلة وغزو مشهود وهجوم فكري متواصل عبر قوانين وضعية تخالف الشريعة. ولم تقتصر وقفاتهم على الامتناع عن الفتيا لمصلحة أولئك ورفضهم التقرب منهم، بل تعدوا هذا إلى التنبيه لهذه الأخطار، فكانوا بهذا من المجاهدين لتكون كلمة الله هي العليا.

٧ ـ منهجان في الفتيا

والذي يتصدى للفتيا يحسب لها ألف حساب قبل أن يطلقها، ولذا تجد البعض من رجال العلم في كثير من البلاد الإسلامية يحتاطون كثيراً ويلجأون إلى الجانب الذي يرون أنهم معفون فيه من المساءلة أمام الله تعالى. .

ـ ٨ ـ

وكانت هذه جولة مع إصدار من إصدارات الشيخ القرضاوي فيما يتعلق بالفتوى، كان ـ حفظه الله ـ وفيما يظهر لي موفقاً في بسطها للعامة من الناس ـ غير أهل الفتوى ـ وبهذا نفع وتقريب لروح الإسلام من القلوب. وفقه الله وأعانه وهدانا جميعاً إلى الحق والعمل به، وكان الله في عون الجميع.

الأقليات المسلمة.. والمعدومون..!

بعد أن كتبت عن بعض الصور للأقليات المسلمة في أوروبا وأمريكا، اطلعت على كتاب صدر عن سلسلة كتاب «الأمة» بعنوان «الحرمان والتخلف في ديار المسلمين لمؤلفه الدكتور نبيل صبحي الطويل في طبعته الأولى في شوال ١٤٠٤ هـ.. وكنت في مقالتي السابقة قد أكدت على حاجة الأقليات المسلمة في أوروبا وأمريكا للدعم المادي والمعنوي من رجال المسلمين وأهل الخير في بلاد الإسلام للتوسع في إنشاء المراكز الإسلامية والمدارس والمستشفيات والمكتبات وتشغيل القوى العاملة المسلمة هناك.

وفي الكتاب المذكور أعلاه وجدت المؤلف بعد أن استعرض أحوال المسلمين في بعض البلاد المسلمة مؤيداً ذلك بالتقارير والأرقام، وجدته يقول: «ما بال أقوام يوجهون جهودهم المالية في مؤسساتهم المسلمة إلى بلاد الغرب لدعم جاليات مسلمة هناك، وأكثرها مكتف مالياً وذو دخل كبير؟» ص ١٣٩، ثم يمضي الكاتب في محاولة إعطاء فكرة عن الأولويات في إنفاق أموال أهل الخير، سواء كان المنفقون أفراداً أو هيئات تخدم هذا الغرض.

ولست هنا أحاول أن أقف معارضاً لفكرة الكاتب أو ناقضاً لها،

فهو قد عمل في الميدان الصحي في مناطق المسلمين وعايش المشاكل التي يعيشها المسلمون في آسيا وإفريقيا، ولذلك فهو يدرك ما يقول بعد أن توصل إلى هذا الرأي. ولكنني هنا أريد أن أقف معه وقفة واحدة لعلها تكون نقطة لقاء بين ما يدعو إليه الكاتب في مؤلفه وبين ما يدعو إليه مجموعة من الكتاب الذين عنوا بالأقليات المسلمة في أوروبا وأمريكا، إذ إنه في الوقت الذي عايش فيه كاتبنا المشكلات التي تحدث عنها ودعا في النهاية إلى توجيه الجهد للقضاء عليها في بلاد المسلمين، في الوقت ذاته نرى أن هناك مجموعة ممن يكتبون عن الجانب الآخر قد عايشوا هم مشكلات الأقليات المسلمة ورأوا من قريب أو بعيد نتائج الدعم الذي تلقاه هذه المجموعات، ورأوا كذلك عن كثب تأثير وجود مراكز لا تقتصر على «صرف المال الكثير على اجتماعات ولقاءات وزيارات وحفلات في الخارج يكثر فيها الكلام..» كما يذكر الكاتب، ولا يمنع هذا من وجود نماذج قليلة جداً تسيء إلى الفكرة وتجعل من حوادث تطرأ أحياناً حجة على العمل الإسلامي في «الشمال».

● ● نقطة اللقاء التي نقترحها لتجمع بين هذه الفكرة وتلك أن توجّه الجهود إلى هذا المجال في الوقت ذاته الذي توجّه فيه الجهود إلى ذلكم المجال، ويكون لهذا رجاله ولذلك رجاله، ويكون لهذا مموّلوه ولذلك مموّلوه، وأهل الخير ـ بعد أن توضح لهم الصورة، ويلتقطوها من جهات يثقون بها ـ لن يترددوا في بذل الخير في كل ما يعود عليهم وعلى إخوتهم وأبنائهم بالخير.

وأنا أعلم أن هناك بعض الأفراد ممن ساروا نحو توجيه مجهوداتهم إلى أوروبا وآسيا وقاموا بإنشاء المدارس والمساجد والمستشفيات ـ والحصول لأبناء هذه المناطق ـ على منح دراسية في الجامعات العربية وفي مجالات علمية مختلفة، إلى جانب مشروعات وبرامج أخرى كانت

تقابل بالترحيب المنقطع النظير من قبل الأهالي الذين يتشوقون بصدق إلى أولئك الذين تربطهم معهم العقيدة ليأتوا ويسهموا في القضاء على مشكلات متعددة تمر بها هذه المجموعات من الناس.

ويعمل هؤلاء الأفراد في هذا الجانب في وقت لم ينكروا فيه عمل إخوة لهم ركزوا جهودهم على تنمية الوجود الإسلامي بصورته الواضحة في أوروبا وأمريكا وعملوا على إنقاذ أجيال مسلمة من أن ينحرفوا مع من انحرف في تيار المادية وسطحية العلاقة مع الله.

يذكر لي أحد المقيمين في إحدى البلاد الأوروبية أنه لولا فضل من الله عليهم بأن قيض لهم مركزاً إسلامياً ـ هو عبارة عن شقة ـ لكانوا في حالة لا يستطيع أن يتصورها هو، إلا أنه لكونه منفرداً عن محيطه الإسلامي الجماعي في وسط غير إسلامي فإنه لا بد أن يعتريه ـ كما يعتري غيره ـ الخمول والكسل وضعف الثقافة وقلة الحافز، وذلك لبعده عن أسلوب الجماعة التي يقوّي بعضها بعضاً. ولا أرى هنا أن تترك هذه المجالات في سبيل توجيه الجهد والمال إلى المجالات المحلية في العالم الإسلامي دون شمولها للمسلمين المقيمين في مجتمعات غير إسلامية، كما أن ما أعنيه هنا لا يمكن أن يكون على حساب مجهود آخر، بمعنى أن تغفل حاجة في سبيل تحقيق حاجة أخرى قد يبدو أنها أولى من تلك وأكثر ضرورة مع التصور التام والاعتراف بأن الحاجة قائمة.

● ● وإذا كان الكاتب يدعو إلى عدم الاقتصار على مجموعة من الأفراد التي تقوم بمثل هذه الأعمال في ديار المسلمين، فيدعو إلى التوسع في هذا من خلال الهيئات والمنظمات الإسلامية، فإنها دعوة حقة لها جذورها من خلال ما تقوم به هيئات مثل رابطة العالم الإسلامي والندوة العالمية للشباب المسلم وغيرها، فالتوسع في هذه الجهود أمر مطلوب ومرغوب فيه، وتقع على عاتق القائمين على هذه الهيئات

مسؤولية كبرى حيالها، ولا أخالهم يغفلون عن ذلك، ولكني أعتقد أنهم يبذلون قصارى جهدهم لإيلائها الأهمية والعناية مع النقص الملموس في القوى العاملة الخبيرة المدربة التي يكون لديها الاستعداد التام لبذل الكثير من الجهد الذي لا تقابله مكافأة أو مرتب؛ لأنه يندرج في مضمار الدعوة إلى الله وتبصير المسلمين بأمور دينهم، وهي عموماً تعمل وتتوسع يوماً بعد الآخر في ثقلها وتأثيرها ووضوح مجهوداتها لكثير من الناس، وفي هذا دلالة على أنها تقدم من الخدمات ما يفرض وجودها. ولا شك أن القائمين في مثل هذه الهيئات يرحبون ترحيباً عملياً بكل مجهود ـ مدروس ـ من شأنه أن يكون امتداداً للجهود التي تقوم هي بها، ويؤكّد هذا المنحى دائماً على لسان المسؤولين في هذه المنظمات أو الهيئات.

● ● والذي لا بد من التأكيد عليه هنا هو أن إقامة المراكز الإسلامية وما يتبعها في أوروبا وأمريكا قد يكون مصدراً من المصادر التي يعتمد عليها اعتماداً غير بسيط في «تمويل» المشروعات والبرامج المقامة للاهتمام بالمسلمين في إفريقيا وآسيا، فقد ساهمت هذه المراكز ـ في أوقات متفرقة ـ في بيان الصورة الحقيقية التي يعيشها إخوة مسلمون يمرون بظروف قاسية لأسباب كثيرة، فإفريقيا قد نالها ما نالها من مساهمات المراكز في سبيل التغلب على موجة الجفاف التي تمر بها، والمجاهدون في أفغانستان والمهاجرون منهم قد تلقوا ما تلقوه من المراكز الإسلامية في أمريكا وأوروبا من مساعدات عينية ومادية، إذن لعل من الخير الذي أدته هذه المراكز ـ بالإضافة إلى ما تقوم به محلياً ـ هو امتداد خدماتها وجهودها إلى بلاد المسلمين التي تعاني المشاكل وبلاد المسلمين التي لا تبدو فيها المشاكل واضحة، ولا يشك من تابع مجهودات هذه المراكز أنها خرّجت رجالاً ونساءً صالحين ممن بقوا هناك وممن عادوا إلى بلاد المسلمين ليعرّفوا إخوتهم الآخرين على مواطن بذل

الخير ويقرِّبوهم من الاهتمام بأمور المسلمين الآخرين بأساليب علمية موضوعية خالية من سيطرة العاطفة وتتبع الجوانب التي تسيء إلى مسيرة الخير المباركة. جهود هؤلاء وجهود أولئك كلها مجتمعة تجعل المرء يخرج بنتيجة أن أبواب الخير كثيرة وأن كثيراً من المسلمين هم بحاجة إلى بعضهم البعض بغض النظر عن المكان الذي يتواجدون فيه. وكان الله في عون الجميع.

«الجزيرة» العدد ٤٩٠٩

السبت ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ/ ٨ مارس ١٩٨٦ م

الأقليات المسلمة.. صور غير خاصة!

فجر يوم عيد الأضحى المبارك من العام المنصرم ١٤٠٥ هـ هاتف أحد العرب المقيمين في أوروبا واحداً من القائمين على المراكز الإسلامية هناك وذكر له ـ والأسى يبدو على نبرات صوته ـ أنه اكتشف ليلة البارحة أن ابنته البالغة من العمر أربعة عشر عاماً قد «تنصَّرت»، وسأل القائم على المركز عن الوسيلة التي يمكن من خلالها إقناع الفتاة في العودة إلى الإسلام بعد الردة. والقائم على المركز هذا يعد من المفكرين المسلمين ذوي الصيت الواسع في انتشاره، وما كان منه إلا أن خفف على الرجل مصيبته ودعاه إلى جلسة طويلة خاصة يتناقشان فيها حول المشكلة، أو هكذا بدا لي من حديث الرجل. إلاّ أن الرجل جعل من هذه الحادثة موضوع خطبة العيد وركز على التقصير الملحوظ في متابعة الوالدين أولادهم وتربيتهم في المنازل بعد أن تعذرت تربيتهم في المدارس، بل قل بعد أن سرت فيهم مظاهر عدم التربية في المدارس، وخف ارتيادهم للمساجد والمراكز.

هذا جانب واحد «ظاهر» من الجوانب العديدة التي ترتطم بها مجموعات كبيرة من «الأقليات» المسلمة في أوروبا وأمريكا والشرق عموماً، بغض النظر عن كون هذه الأقليات عربية أو غير عربية. وهذا

جانب تنبه إليه الوالد فلم يحتمله فبحث عن ذوي المعرفة وأهل الذكر سعياً وراء «ترقيع» للمشكلة، وهناك حالات كثيرة تضيع معها أجيال من أبناء المسلمين بسبب ظروف تمر بأهلهم تجعلهم يغفلون في أبنائهم غرس مبادىء الخير والصلاح منذ طفولتهم. وهذه الجوانب اجتماعية وخلقية واقتصادية عديدة جداً، ربما صعب حصرها هنا، ولكن يأتي منها لجوء كثير من الشباب المسلمين الذين يبحثون عن إقامات طويلة في بلاد أوروبا وأمريكا إلى الزواج من نساء البلاد التي ينوون الإقامة فيها. ويأخذ هذا الأسلوب صوراً متعددة، منها الزواج الحق الذي يراد منه حياة مستمرة تجلب فيما تجلب الإقامة الدائمة، ولا يكون في نية صاحبها أكثر من هذا المسار الطبيعي للزواج، وتتعدد الصور إلى أن تصل إلى «استئجار» زوجة بمبلغ متفق عليه يقوم بعده الطرفان بالتسجيل بالجهات الرسمية فتحمل المرأة هناك اسم «زوجها» الجديد إلى أن يحصل هذا «الزوج» على الإقامة، عندها يتم الطلاق عن تراض بينهما. وقد وصلت هذه الصورة في بعض المواقف إلى أن المرأة لا تعرف الرجل، وأن الرجل لا يعرفها ولم يتقابلا حتى عند «كتب الكتاب»، بل قد حدث أن كانت الزوجة في أقصى الجنوب والزوج في الشمال وتم بينهما العقد إلى أن تحققت الغاية منه، وقد حدث أيضاً أن تزوج ذو العشرين عاماً ذات الخمسين والستين عاماً قصداً إلى الغاية المذكورة، ولا مبالغة هنا البتة، على أن هناك صوراً عجيبة وقع فيها مجموعات من شباب المسلمين يدفعون فيما بعد ثمنها غالياً من عواطفهم وأحاسيسهم ومشاعرهم. وتكون غصة في حياتهم لا تفارقهم حتى في المنام، ولو تبصروا أمور دينهم لأغناهم عن هذه المهاوي المهلكة.

ضياع الوالد والمولود!

ولعل من أنواع الثمن الغالي الذي يدفعه بعض الشباب المسلم

عندما يبحثون عن الإقامة المستمرة بلجوئهم إلى الزواج أن يثمر هذا الزواج عن طفل أو طفلين يعقبهما طلاق، فتحكم المحاكم هناك أن تكون رعاية الطفل لأمه وعلى الوالد النفقة، فتنفرد الأم بأطفالها وتملي عليهم خلفيتها وتحرص على ذلك أكثر من غيرها، لا لشيء إلا لأن والدهم مسلم، وإن لم تكن هي من المتحمسات لدينها، وقد حصل في هذا الصدد أن أرسلت الأم صورة ابنتها لأبيها وهي في الكنيسة تصلي قصداً منها إلى إغاظة الأب والانتقام منه بطعنه في موقع حساس فيه يتصل بمعتقده ودينه، وأخرى افترقت عن زوجها وهي حامل وأنجبت طفلة منه ولم تسمح له ـ ولم يسمح له القانون ـ بأن يرى طفلته رغم أنه فرض عليه نفقتها ونفقة أمها، وذلك كله بحجة أن الأم أملت على المحكمة أن الأب ربما خطف البنت وهرب!.

وإن لم ينصر الأطفال وكانت هذه الصور الفردية فإنهم ـ ولا شك ـ ضائعون، والذي تتاح له فرصة «التعمق» في زيارة تلكم المجتمعات ودراستها عن كثب يمكن أن يلاحظ ضياع مجموعة من شباب المسلمين ذوي الخلفية الواحدة، فكيف بأولئك الذين ينشأون في ظل أسرة خلفياتها متفاوتة، وقام بينها صراع قوي أدى إلى الفراق الذي أدى بدوره إلى ضياع الأولاد ذكوراً كانوا أو إناثاً!

ولعله من الأفضل ألا يقال إن هذه تصرفات شخصية يتحملها أصحابها ويكونون في واقع المسؤولية المنفردة وراء ما وصلت إليه ظروفهم؛ لأن هذه الصور لا تعدو أن تكون جزءاً من صور كثيرة تجمع سوياً لتكوِّن في مجموعها مشاكل (مشكلات) الأقليات المسلمة في أي مكان من العالم غير المسلم. ولنا دور واضح في النظر في هذه المشكلات مجتمعة ومنفردة والمحاولة الجادة في سبيل التدخل على مختلف المستويات لحلها، بل وربما القضاء عليها. وأساليب ذلك كثيرة

جداً، منها ما تقوم به الهيئات والمنظمات والاتحادات الإسلامية لمواجهة الأخطار المشتركة للمسلمين في كل مكان. ومنها ما يقوم به أهل الخير في سبيل تهيئة أجواء دينية للمسلمين وأبنائهم هناك ببذل المال في سبيل تبني المشروعات الإسلامية من مساجد ومدارس وتهيئة أعمال للمسلمين وإتاحة فرص لهم ليس في بلاد المسلمين فحسب، بل في البلاد الأخرى. والمال العربي ومال المسلمين ليس عاجزاً اليوم عن تبني مثل هذه المشروعات، كما أن الخير وبذله لا يتوقف عند حدود مرسومة، وليس هناك قوانين رسمية محلية أو دولية تفرض قيوداً على أعمال الخير سواء في بلاد المسلمين أو في البلاد الأخرى.

في أوروبا وأمريكا تجد جاليات مسلمة لا تستطيع تحمل أعباء المؤسسات التي تخدم مناهجها، كالمسجد والمدرسة والمكتبة، فتلجأ إلى استئجار الشقق/ مفروشة أو غير مفروشة! لتزاول فيها أنشطتها وسط مضايقات الجيران الذين قد يلاحظون حركة غير عادية في هذه الشقة أو تلك فيلجأون إلى سلطات الأمن لحمايتهم منها ظناً منهم أنهم ربما لحقهم من هذه الشقة بعض من أذى، في وقت تَجِدُّ فيه وسائل الإعلام هناك على رسم صورة غير نقية عن العرب خاصة وعن المسلمين عامة. وأذكر أنه في مدينة أمريكية كبيرة سبعة مساجد، كلها لا يرى فيها صورة المسجد، بل هي بيوت مستأجرة تدفع أجرتها من تبرعات توضع في «صندوق» صغير ألصق في زاوية من زوايا المنزل لا يكاد يُرَى!

وفي المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي الذي عقد في الرياض في منتصف جمادى الأولى من هذا العام ١٤٠٦ هـ، ركز على بعض من هذه الجوانب التي تتعلق بالأقليات المسلمة في العالم، ومن توصيات المؤتمر متابعة أخبار الأقليات المسلمة والتعرف على مشكلاتها والتعريف بهذه المشكلات. وهذه بدورها سوف تضفي

على هذه الجوانب شيئاً من التأكيد هي في حاجة إليه، متضامنة إليه في ذلك مع رابطة العالم الإسلامي والهيئات والاتحادات والمنظمات الإسلامية الأخرى في سبيل المساهمة في إبراز هذه الجوانب للآخرين وإطلاعهم عليها، ومن ثم المساهمة ـ مساهمة مهما كانت متواضعة ـ في الوصول إلى حلول قريبة الأجل وطويلة المدى تضامناً مع إخوة مسلمين أجبرتهم ظروف كثيرة على البحث عن لقمة العيش في بيئات لم تفتح لهم صدرها، ولم يكونوا يتوقعون أن يقابلوا ما قابلوه بعد أن «تورطوا» في العيش هناك، فكان الله في عونهم، وكان الله في عون الجميع.

«الجزيرة» العددة ٤٩٠٢

السبت ٢٠ جمادي الآخرة ١٤٠٦ هـ الموافق ١ مارس ١٩٨٦ م

العمل الإسلامي في «الشمال والجنوب»!

الذين قرأوا كتاب الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي «الصحوة الإسلامية بين التطرف والجحود» ثم واصلوا مع الشيخ الدكتور حديثه ومقابلاته ومحاضراته عن هذه الظاهرة يدركون أننا نعيش صحوة إسلامية حقة منبعثة عن دوافع ذاتية في وجدان أولئكم الذين بدت عليهم هذه الظاهرة بارزة، فهم لم يقلدوا في هذا أحداً ولم يسيروا تابعين لشعارات وهتافات همها إشعال روح الحماسة وتغليب جوانب العاطفة. بل إنهم في تمثلهم لهذه الظاهرة عمدوا إلى الجانب العلمي الموضوعي فنهلوا من علوم الدين وتدارسوا تعاليمه.

وجود هذه الظاهرة دعا بالضرورة إلى الالتفات إلى الظروف التي يعيشها المسلمون شرقاً وغرباً، سواء في ذلك المنطقة الصناعية «الشمال» والمناطق المعدومة «الجنوب» والتي يعمد البعض إلى تسميتها «بالمناطق النامية». فالالتفات إلى ظروف المسلمين في الشمال جاء من زاوية أنهم هناك يمثلون أقليات في مجتمعات غير مسلمة احتاجوا حيالها إلى أن يلتفوا حول بعضهم فلا يضحى الواحد منهم كالغنم القاصية نهباً للذئاب فريسة لها. والتفاهم حول بعضهم تطلب إقامة المراكز الإسلامية المتعددة في أوروبا وأمريكا وما تشمله هذه المراكز من مصليات ومدارس

ومكتبات، وربما أحياناً منافع تدر على هذه المراكز أرباحاً حلالاً خالية من شوائب الربا. وقيام هذه المراكز تطلب بدوره الدعوة المستمرة إلى تطويرها واستقلالها وتميزها، وقد بدأت بعض المراكز على شكل شقة تستأجر في عمارة كبيرة ثم ما لبث بعض منها أن أصبح مركزاً واضح المعالم. والدعوة المستمرة هذه تطلبت بدورها كذلك جمع التبرعات والصدقات والمساهمات في إقامة هذه المراكز واستمرارية عملها وصيانتها وما يتطلبه عادة إقامة مركز جماعي كبير.

والالتفات إلى ظروف المسلمين في المناطق المسلمة جاء من زاوية أن معظم بلاد المسلمين تعاني من الفقر والجهل والمرض، والنظر إلى هذه الحالة يدعو المهتمين من رجال الدعوة في الإسلام إلى محاولة لفت أنظار أهل الخير من المتبرعين والمتصدقين والمساهمين إلى هذه الفئات من المسلمين من حيث كونهم أحق من غيرهم في الاهتمام لما هي عليه حالهم الآن، ولما يتهددهم في مستقبل حياتهم من فناء عن طريق الفناء الطبيعي «الموت جوعاً ومرضاً وجهلاً» وعن طريق إفنائهم بإخراجهم عن دين الإسلام بواسطة جموع كثيرة جداً وصلت إلى عشرات الملايين من المنصرين، الذين لا ينتظرون من هذه الفئة من الناس تنصُّرهم أكثر مما هم ينتظرون منهم انسلاخهم عن دينهم. والشواهد على هذا كثيرة جاء بها من عمل تطوعاً أو عمل رسمياً في منظمات دولية كمنظمة الصحة العالمية.

ولا تفتأ الصحف المهتمة بهذا الشأن تتحدث عن هذه الظاهرة مدعمة حديثها بالحوادث والإحصاءات، ولعل من أراد التوسع في هذ أن ينظر إلى نموذج واحد في كتاب صدر عن سلسلة «كتاب الأمة» لمؤلفه الدكتور الطبيب: «نبيل صبحي الطويل» تحت عنوان «الحرمان والتخلف في ديار المسلمين» وقد صدرت طبعته الأولى في شوال من عام ١٤٠٤ هـ ممثلة العدد السابع من السلسلة المذكورة. ويهمني في هذا الكتاب

الإحصاءات الحديثة، وتحليلها الذي ورد في الكتاب، لما اتسمت به من أسلوب قد لا يقبله الكثيرون، وكان بالإمكان التعبير عن الفكرة ذاتها بأساليب أكثر موضوعية. وأذكر هذ التحفظ لئلا يعتقد أني أوافق الكاتب في كل ما ذهب إليه. وإنما أورد هذا النموذج دلالة على الوضع الذي وصل إليه كثير من المسلمين خاصة في آسيا وإفريقيا.

معايشة هذه الفئات من المسلمين دعت البعض إلى التأكيد على أولويتها في العمل الإسلامي وتقديمها على أي عمل آخر بما في ذلك الاهتمام بأحوال المسلمين في أوروبا وأمريكا، بحيث يدعو هؤلاء بصراحة إلى إغفال فكرة الأقليات ـ ولو لفترة ـ بحجة أن لديهم ما يعينهم ذاتياً على القيام بأنشطتهم الدينية من إقامة مراكز ونحوها، ومن ثم الالتفات إلى المسلمين في ديارهم والتركيز عليهم، وفي الوقت الذي يعذر فيه هؤلاء في مذهبهم هذا خاصة أنهم عايشوا المشكلات التي يواجهها المسلمون في بلادهم، والظروف الصعبة التي يعيشها هؤلاء فوقفوا عليها، ولم يكتفوا فقط بالقراءة والسماع عنها، وليس من رأى كمن سمع، في الوقت الذي يعذر فيه هؤلاء في هذا المذهب، يبدو أنه من الأفضل للعمل الإسلامي عموماً ـ وهو يعيش صحوة فعلية ـ أن يكون تركيز هنا وهناك، ولا يكون عمل على حساب عمل. إذ الملاحظ ـ هذه الأيام ـ أن الالتفات إلى البلاد المسلمة يزداد يوماً بعد يوم من قبل أشخاص متطوعين وهيئات ومنظمات إسلامية تحاول بكل ما أوتيت من إمكانات أن تساهم في التغلب على مشكلات الفقر والجوع والمرض. هذا بالإضافة إلى جمعيات خيرية بدأت تبرز على الساحة، ولم تكن من قبل تطرق تفكير أحد من الناس. والذين ينتظرون من هذه الجمعيات أن تقف على قدميها بين يوم وليلة في سبيل أن تقف في طريق تلكم الجمعيات التنصيرية لا بد أنهم أغفلوا الظروف التي تمر بها هذه الجمعيات من حيث كونها حديثة في نشوئها وتحتاج إلى وقت طويل ـ في

حساب الأيام والسنين - حتى تصل إلى مستوى الجمعيات الأخرى التي تخطت المئتي عام منذ إنشائها. ولكن «جمعياتنا هذه على الطريق الحق تسير وستصل ما دامت قد جعلت هدفها جهاداً في سبيل الله».

والملاحظة التي لا بد من طرحها هنا هي أن مجموعات ممن عملوا على إقامة مراكز إسلامية في منطقة «الشمال» يعملون الآن على إقامة المساجد والمدارس والمستشفيات في آسيا وإفريقيا. بل إن بعضاً منهم يصح أن نطلق عليهم أنهم خريجو المراكز الإسلامية في أوروبا وأمريكا. ولا نقول كلهم لئلا نبخس الباقين حقهم. ولكنه مجرد تدليل على أن العمل الإسلامي اليوم يكاد أن يثبت لكثيرين أنه كل لا يتجزأ من حيث شمولية الصحوة الإسلامية بين أبنائه يستوي منهم أولئك الذين يعملون في أوروبا وأمريكا من الأقليات المسلمة، والذين يعانون مشكلات غير سهلة في بلاد المسلمين في آسيا وإفريقيا. ومجهودات الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي اليوم يغذي بعضها بعضاً ويستفيد بعضها من الآخر. وتتضافر الجهود جميعها لتنتشر في رقعة واسعة من أرض الله، فلا تكون جهود على حساب جهود، ولا يطغى تركيز على تركيز آخر، إذ الحاجة قائمة هنا وهناك، والخوف من الضياع يهدد هؤلاء وهؤلاء على حد سواء، وإن كان التهديد في بلاد المسلمين أوضح منه في بلاد أوروبا وأمريكا. والذي ربما خشيه المرء أن يستهان بعمل في سبيل التأكيد على عمل آخر، فتكون النتيجة بروز جانب من الشك لدى بعض الناس من جدوى العمل عموماً هنا وهناك فيقل العطاء وتذهب الجهود سدى فتقتصر على الجانب النظري فقط. وتلكم نهاية لا نريد أن يصل إليها العاملون في طريق الخير **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**.

المسلمون العدد ٦٥

١٤٠٦/٨/٢٤ هـ الموافق ١٣/ ١٠/ ١٩٨٦ م

«الفاروقي».. رجلٌ فقدته القضية

إسماعيل راجي الفاروقي أستاذ بجامعة تمبل بمدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا، أمريكي الجنسية فلسطيني الأصل، مسلم العقيدة، كان يرأس برنامج الدراسات الإسلامية العليا بالجامعة.

كان يكتب كثيراً عن الأديان ويحاضر حولها ويعقد الندوات، ويساهم في المؤتمرات. كتب عن قضية المسلمين في فلسطين كتابات علمية دقيقة وانعكست العلمية والدقة كذلك على محاضراته وندواته. عرفته عن كثب عام ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م عندما بدأت مشوار الدراسات العليا بتعلم اللغة الانجليزية بجامعة تمبل المذكورة. كنت ومجموعة من الزملاء نلتقي به في مناسبات متعددة، كان يحدثنا فيها عن الحياة في الولايات المتحدة بالإضافة إلى أشياء أخرى. في اليوم التاسع عشر من رمضان ١٤٠٦ هـ وفي حوالي الساعة الثالثة إلا قليلاً من صباح ذلكم اليوم انتقل هذا الأستاذ إلى رحمة الله تعالى هو وزوجته مقتولين.

قصة مقتله:

في الساعة الثانية والنصف من صباح ذلكم اليوم الثلاثاء ٢٧/ ٥/ ١٩٨٦ م نزلت الدكتورة لمياء (وكان اسمها لويز) الفاروقي لتحضير طعام

السحور لزوجها وابنتها ولها. ومن خلال نافذة قريبة من المطبخ دخل رجل، فكان أول من واجهه الزوجة فما كان منه إلا أن طعنها بسكين طعنات أودت بحياتها، سمعت البنت (أنمار الزين) صراخ أمها فهرعت إليه لتواجه مجموعات أخرى من الطعنات. وكان الوقت يمر بسرعة على القاتل مما جعله لم يتمكن أن يجهز على الابنة ليتوجَّه إلى الطابق العلوي حيث يرقد إسماعيل الفاروقي، وكان إسماعيل قد سمع صراخ الأم والبنت فأسرع دون سابق تفكير ـ فيما يبدو ـ إليهما وإذا به يواجه بالقاتل في الطريق ويطعنه مجموعة من الطعنات تودي بحياته. إلاّ أن «أنمار الزين» مع كثرة ما أصابها لم يرد الله لها الموت لتحيا هذه المأساة فترويها للآخرين، وتؤكد أن القاتل لم يكن ـ كما زعم البعض ـ من سود أمريكا أو أنه من مسلمي أمريكا، كما تردد أول الأمر من قبل بعض الذين نشروا الخبر!

ويذكر شهود العيان أنه بعد سماع الأصوات داخل البيت سمعوا أيضاً أصواتاً تهرب من البيت وكانت مختبئة وراء بعض الأشجار التي تحيط بالبيت. كما يذكر شهود العيان أنه كانت هناك سيارة تحمل ثلاثة أشخاص وكانت تحوم حول المنزل قبل الحادثة. واستُبعد أن يكون الدافع لهذا كله مجرد السرقة، ولذا فقد أمر «إدون ميس» المحامي العام في الولايات المتحدة الأمريكية قوة من الإف. بي. أي. بالتحقيق في الأمر. وبعد ذلك سحبت هذه القوة وترك التحقيق في يد شرطة الحي مع إمكانية مساعدتها تقنياً من الهيئة الفدرالية للتحقيق.

وهنا يبرز اسم منظمتين يهوديتين تتجه إليهما أصابع الاتهام خاصة أن الأستاذ الفاروقي قد كتب قبل مدة قصيرة عن فلسطين والجور الذي يلقاه الفلسطينيون من الصهيونية، وما وصل إليه ذلك من تشابك وتعقيد محزن يوحي بأنه لا طريق لإيقاف مثل هذه المعاملة غير قيام حرب

طاحنة. والمنظمة اليهودية الأولى رابطة الدفاع اليهودية والأخرى منظمة الدفاع اليهودية (أو رابطة الدفاع عن اليهود، ومنظمة الدفاع عن اليهود) وهما منظمتان إرهابيتان متطرفتان ذواتا علاقة قوية بإسرائيل في فلسطين المحتلة.

وقبل مقتل الأستاذ الفاروقي بأشهر قتل أليكس عودة المنسق المحلي في كاليفورنيا للجنة التمييز ضد العرب الأمريكيين. وكان الأستاذ الفاروقي عضواً في هذه اللجنة ـ وبعد مقتل عودة أصدر مدير الهيئة الفدرالية للتحقيق (الإف. بي. أي) تحذيراً للعرب الأمريكيين بأنهم أصبحوا هدفاً رئيسياً للمجموعات اليهودية المتطرفة. وقد وقع هجوم على مكاتب اللجنة في كل من فرانسيسكو وبوسطن.

ولم تتوقف التهديدات على مكاتب اللجنة، بل إن مساجد المسلمين هناك تعرضت للهجوم والتهديد. ففي العام الماضي أحرق مسجد دار السلام في هيوستين/ تكساس وكان ذاك خلال اختطاف طائرة طيران عبر العالم (تي دبليو. أي) وهددت المساجد والمراكز الإسلامية في شيكاغو، ودنفر بكولورادو، وديترويت بولاية ميشجان حيث يقع حي «ديربورون» المليء بالجالية اليمنية.

وقبل مقتل الفاروقي بأسبوعين نشرت مجلة تدعى «صوت القرية» تحقيقاً مع رئيس رابطة الدفاع اليهودي ذكر فيه أنه ورابطته بصدد زرع الخوف في أذهان وعقول أعداء اليهودية الصهيونية، وأنه بصدد «إسكات» أحد الأساتذة الفلسطينيين الأمريكيين الذين يدافعون عن فلسطين وعن منظمة التحرير الفلسطينية. ورغم أن البعض فهم من هذا التهديد أن الشخص المقصود هو الأستاذ إدوارد سعيد صاحب الوقفات المعروفة ضد اليهود. إلا أن العارفين يقولون إن الفاروقي قد أدخل ضمناً في هذا التهديد الذي وجهه رئيس الرابطة المذكورة وذلك لما للفاروقي من

مواقف مشابهة تماماً لمواقف أستاذ جامعة كولومبيا بنيويورك إدوارد سعيد، وإن يكن الفاروقي إلى الكتابات العلمية والبحث والدراسات أقرب منه إلى الأضواء الإعلامية التي تسلط على إدوارد.

صناعة السينما:

وفي هذه الأثناء ظهر فيلمان في سلسلة طويلة من الأفلام السينمائية والتلفزيونية كان عنوان أحدهما (قوة الدلتا) وعنوان الآخر (تحت الحصار)، وكانا موجهين ضد المسلمين ودعاية للصهيونية في فلسطين. ويخرج المشاهد منهما بأن المسلم إنما هو صانع المشاكل، وصانع المشاكل لا ينفع معه إلاّ الإسكات، ولذا لا بد من إسكات العرب والمسلمين. ولولا الثقة بالمصادر التي أخذت منها هذه المعلومات لما رصدتها هنا؛ لأن البعض قد لا يتصور أن الأمر قد وصل إلى هذا الحد. ولكن السيطرة الصهيونية على الإعلام عموماً هناك قد جرَّت إلى أكثر من هذا.

وقد أجرى بعض الباحثين مسحاً لرجال «هوليود» من منتجين ومخرجين وكتَّاب قصة فوجد نسبة كبيرة منهم تصل إلى ٩٧٪ من اليهود أو من يدور في فلك اليهود. ويؤكد ذلك يوسف إسلام «كات ستيفنز» حينما قال إنه قبل أن يعلن إسلامه، كانت مئات التحقيقات تلاحقه بلاقطات الصور والمحققين والمحققات، وتبدل الحال عندما منَّ الله تعالى عليه بالإسلام، فيُهْجَر الرجل ولا تكاد تسمع عنه كلمة في الإعلام حتى ليكاد البعض يعتقد بأنه قد مات رغم أنهم لا يزالون يستمعون إلى أغانيه التي أوصلته في يوم من الأيام إلى مرتبة السوبر ستار!.

ويؤكد ذلك أيضاً المفكر الأستاذ رجاء جارودي وما يتعرض له الآن من حملة لم يكن يتعرض لها من قبل، رغم أنه ترك الحزب الشيوعي

الفرنسي بفترة غير قليلة قبل أن يشهر إسلامه، ولا يكاد اليوم يجد ناشراً واحداً من مجموعة أولئكم الناشرين الذين كانوا يلاحقونه ويعرضون عليه خدماتهم مقابل مردود مادي كبير يمنحونه إياه فيما إذا وافق على نشر كتبه عندهم. كما كانت الدوريات تلاحقه بذات الأسلوب وذات الحماسة.

● ● وفي الوقت الذي تزداد فيه الحملات على العرب والمسلمين في أمريكا وأوروبا وفلسطين المحتلة، يزداد إصرار العرب والمسلمين على الثبات والصبر والتحمل والبحث عن المخرج لهذه الأزمة، التي يبدو أنها طالت نوعاً ما عند البعض الذين كانوا يتوقعون أن حل هذه المشكلة لن يتعدى حقبة من الزمن لن يشهدها الجيل الثاني من أبناء المشكلة الذين عايشوها منذ عام ١٩٤٨ م ولا يزال بعضهم يعايشها إلى اليوم.

وفي هذا الوقت الذي تفقد فيه قضية المسلمين داعية من دعاة الحق في فلسطين وفي الجوانب الأخرى في غير فلسطين يجد العرب والمسلمون أنفسهم وقد ازداد فيهم ذلكم الثبات والصبر والتحمل، خاصة أن العارفين منهم يدركون تماماً أن ما يمر بهم في هذه المرحلة التاريخية الحرجة إنما هو ابتلاء من الله تعالى لإيمان هؤلاء فيزداد لهذا ثباتهم.

فهل قتل إسماعيل راجي الفاروقي بسبب موقفه من اليهود ومن سار في فلكهم؟ سؤال يكاد يؤكد على إيجابيته كثير من المطلعين على الحركة الإسلامية في أمريكا، والمطلعين في ذات الوقت على الحركة اليهودية في البلد ذاتها. وكم يتطلع المرء إلى أن يلقي السؤال على مجموعة من رجال الحركة الإسلامية هناك ليسمع منهم ردود فعلهم. كما يتوق المرء إلى أن يلقي السؤال نفسه على أولئك الذين يدافعون عن المصالح العربية من مفكرين وعلماء وسياسيين في الولايات المتحدة الأمريكية ليسمع منهم وجهات نظرهم حول مقتل الفاروقي بهذه الصورة العنيفة، خاصة إذا نُظر إلى هذه الحادثة على أنها حلقة من سلسلة من مجموع الحوادث التي

يتعرض لها المسلمون والعرب في الآونة الأخيرة، وبخاصة منهم ذوو الخلفية العربية.

وقد يطول الوقت قبل الإجابة على هذا السؤال إجابة مؤكدة رسمية علمية، وقد لا يجاب عليه كما لم يجب بعد على أسرار مقتل «مالكم إكس» ذلكم الأمريكي المسلم الذي طوى النسيان قضيته التي ترفض أن تنطوي، وعلى أي حال فالرجل وزوجته قد أفضيا إلى ربهما، ويبقى لهما منا الدعاء بالمغفرة والرحمة، وأن يكتبهما الله من الشهداء الذين أفضوا في سبيل إظهار الحق والدفاع عنه وخدموا أمتهم وقضيتهم فلقوا في سبيل الله ما لقوه. ولن تعدم القضية أن تجد من يدافع عنها وينافح في سبيلها في أي بلد أجنبي، فإن أفضى واحد قام الآخر مكانه إلى أن يأذن الله للحق أن ينجلي.. «إنّا لله وإنّا إليه راجعون».

كتابٌ في الحضيض..
والعمال الأجانب في ألمانيا!!

ألمانيا الغربية بها أكثر من مليوني تركي مسلم يعملون هناك في البناء والمصانع مع غيرهم.. وهم الذين قامت على أكتافهم ألمانيا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية.. واليوم أصبح الألمان يضيقون من الأتراك ويضيقون عليهم الخناق.. ويطالبون بترحليهم بحجة أخذ فرص العمل المتاحة لهم.

فقام الصحفي الألماني بتقمص شخصية عامل تركي ليعايش مشاكلهم ويخرج منها بكتاب لم يرض عنه البعض.. ولكن على أي حال كان له تأثير في توضيح المشكلة التي يتناولها كاتب اليوميات اليوم.

في ألمانيا الغربية يوجد أكثر من مليوني (٢,٠٠٠,٠٠٠) تركي مسلم يعملون هناك في البناء والمصانع والمعامل. هؤلاء مع غيرهم من مواطني بعض دول أوروبا الشرقية وإيطاليا هم الذين قامت على أكتافهم ألمانيا الاتحادية اليوم مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥ م) بعد أن كانت أنقاضاً على جثة أدولف هتلر الذي قضى عليها بسبب نزعته العنصرية التي لا تزال قائمة لدى النازيين الجدد.

بعد أن بنى الأتراك ضاق بهم الألمان، فأصبحوا يضيقون عليهم تضييقا غير رسمي؛ لأن القانون يحميهم.. ولكن الأتراك يقفون أمام هذه

المضايقات وقفة المصر الذي يعلم أنه بنى ما بنى ويستحق عليه التقدير حسياً ومعنوياً. وإزاء هذين الموقفين صار التركي هناك يحاول التميز على غيره. إنه يصر على أن يظهر على أنه تركي وليس أوروبياً أو ألمانياً. وبحث الأتراك عن وسائل التميز فوجد بعضهم أن دينهم هو الذي يميزهم فأقاموا المساجد والمراكز الإسلامية، وصاروا يترددون عليها ويشجعون أبناءهم على ارتيادها. وأصبح الطفل التركي في ألمانيا يحفظ شيئاً من القرآن الكريم ويعرف المعلومات الرئيسية عن الإسلام. وأصبحت تتجول في بعض المدن الرئيسية فترى التركي وتعرف أنه تركي إلا القلة الذين ابتلعتهم المدنية الزائفة.

وحيث إن الأتراك كانوا ولا يزال كثير منهم يعملون بأعمال غير فنية تجاههم وأعلنوا أن أي تركي يعمل في ألمانيا ويريد أن يترك عمله لألماني تجاههم، وأعلنوا أي تركي يعمل في ألمانيا ويريد أن يترك عمله لألماني ويغادر إلى بلاده له الحق في الحصول على عشرين ألف مارك ألماني (٢٠,٠٠٠) مقابل تخليه عن عمله، وذلكم لأن الألمان احتجوا بأن الأتراك الموجودين قد أخذوا عنهم الفرص وتركوهم في بطالة، بينما واقع الرجل الألماني - عرقياً - لا يسمح له بالقيام بالأعمال التي يقوم بها الأتراك أو اليوغسلافيون أو الإيطاليون أو غيرهم من مواطني شرق أوروبا. ويصرح أحد الأحزاب السياسية هناك أن سبب المصائب التي تعيشها ألمانيا إنما أتت من العاملين الأجانب وفي مقدمتهم الأتراك. وتقوم المظاهرات الصاخبة التي تصوت بالشوارع داعية إلى خروج الأجانب من الأرض الألمانية.

وإزاء هذه الضغوط لا يخلو الأمر من قيام من يتعاطف مع هؤلاء العمال الأجانب. إذ يعترف كثير من العاقلين الألمان بما قام به الآخرون في ألمانيا بعد أن نسفت البلاد أضرار الحرب وأصرت على البناء. وهذه

الفئة القليلة من الألمان موزعة على جميع فئات الشعب الألماني. وأذكر أن أستاذ اللغة الألمانية في فرانكفورت قد قال لنا رداً على سؤالنا له عن مثل هذه الضغوط، يقول أتمنى أن يتوقف العاملون الأجانب يوماً واحداً عن القيام بمهامهم ليشعر الألمان بما لهؤلاء العمال من الأهمية في المجتمع الألماني. وذلكم كان موقفاً واقعياً، إذ هو يشير إلى أن جميع أو معظم مقومات المجتمع الألماني قائمة على هؤلاء العمال.

وصحفي ألماني يدعى «غنتر فالراف» يترك الصحيفة ويتقمص شخصية عامل تركي يسمى بعلي، ويطلق شاربه ويكحل عينيه ويحاول أن يخلع على بشرته ما يوحي بأنه عامل تركي. ويذهب إلى المحلات ويعرض نفسه للعمل وهو لا يحمل إقامة وليس هو على عهدة كفيل، ولأجل ذلك هو مستعد أن يعمل أكثر بأجر زهيد فيعمل ويطرد. ويعمل ويشرد ويعمل ولا يصبر على سوء المعاملة ويعمل ويطلع على نواح من الفساد الإداري. ويذهب إلى كنيسة يطلب التعميد، ويتعمد الذهاب إلى كنيسة تفرق بين نصارى ونصارى، ويحرج الراهب بمجموعة من الأسئلة الواعية بلغة ألمانية مكسرة ويتخلص منه الراهب دون أن يقبل تعميده. ويقابل بعض المسؤولين الكبار ويتعمد أن يظهر معهم في الصورة. كل ذلكم قام به خلال عشر سنين من عمره وهو يسجل كل ملاحظة تمر به ويلاحق كل إعلان طلب عاملين ويخضع للمقابلات الشخصية وهو صلب مصر على مظهره ولغته المكسرة. فعمل في المصانع والمناجم وعمل سائقاً وفي المطاعم وشجع كل ما هو تركي، حتى مباريات كرة القدم التي أقيمت بين تركيا وألمانيا حضرها بصفته مشجعاً تركياً يحمل العلم التركي، خالط الأتراك وتحفظ على الحديث معهم لركاكة لغته التركية. لم يترك مجالاً توقع أن العاملين الأتراك قد طرقوه إلا وطرق أبوابه.

وخرج أخيراً بكتاب من مائتين وأربع وخمسين صفحة (٢٥٤) وصف فيه كل ما مر به من متناقضات ومضايقات ومواقف حرجة بصفته العامل التركي «علي» وسمى كتابه تسمية ذات تعبير خاص في الأذن الألمانية. ولفت العنوان الأنظار، وقرأه الكثيرون، وكتب عنه أكثر مما كتب عن أي كتاب زامنه. وتحدث عنه التلفزيون ولاحقه زملاؤه الصحفيون يطمعون في كلمة من هذا الذي ضحى بعشر سنين من عمره في سبيل أن يخرج بكتاب. غضب عليه كثيرون، رموه بالتنكر لقوميته وعرقيته. رموه بالتعاطف مع المنافسين على أرض ألمانيا. ورماه أحدهم بالعمالة ولم يرض عنه بعض من العاملين الأتراك؛ لأنه في نظرهم لم يوفق في رسم صورة حقيقية للمجتمع التركي في ألمانيا، إذ بالغ في استخفاف الألمان بهم. وانتهى الأمر بالكتاب إلى أن يتحول إلى فيلم سينمائي يعرض على جميع من لم يستطيعوا القراءة بالألمانية، فتعاطف معه الكثيرون واستطاع بحق أن يحول من نظرة البعض تجاه العمال الأجانب عموماً وتجاه العمال الأتراك بوجه خاص.

على أن البعض رأى في الكتاب توسيعاً للفجوة بين الشعبين التركي والألماني من خلال ما ولده الكتاب من مشاعر غير ودية من قبل كثير من الأتراك تجاه الألمان، ومن قبل بعض الألمان تجاه الأتراك. وهذا الخليط من ردود الفعل أوقع الكاتب في حيرة من موقفه من بعض الآراء التي سطرها في كتابه. وأوقعت ردود الفعل الكتاب الآخرين في نظرتهم للكتاب وخاصة بعد أن تحول إلى فيلم وشاع أكثر من ذي قبل.

ويرى البعض أن الكتاب لا يعدو أن يكون تشريحاً للوضع الاجتماعي في أوروبا الغربية عموماً، وموقف مواطني أوروبا من الأجانب الذين جاءوا ليسدوا فراغاً لم يكن ليسد لولا الاستعانة بهؤلاء العاملين. ومع ذلكم يظل هؤلاء العاملون يلقون صنوفاً من التضييق تزداد يوماً بعد

يوم كلما ازدادت البطالة المحلية، وكلما ازداد الشعور بأن هؤلاء الضيوف يشكلون عبئاً كبيراً على المجتمع الأوروبي، خاصة بعد أن انتهى من الإعداد والتجهيز الأساسي لكثير من المرافق.

وقد لا يختلف الكتاب عن غيره من المقالات المنشورة سوى أنه وليد تجربة، وصدر من قلم مواطن لم يتوقع منه مثل هذا التشريح، وقد ترجم الكتاب إلى بعض اللغات، وأعلم أن هناك محاولات لنقله إلى اللغة العربية. وهو يفيد المجموعة العربية في المغرب العربي لوجود طائفة غير قليلة من عرب شمال إفريقيا يعملون في فرنسا وألمانيا والنمسا وبلجيكا وهولندا وتشيكوسلوفاكيا وغيرها.

لو مشى ربعي بن عامر في أوروبا..!

نظم مجموعة من «الوطنيين» في ألمانيا الغربية مظاهرة قوية موجهة إلى الأجانب تدعوهم فيها إلى مغادرة البلاد في سبيل إتاحة الفرصة للعاطلين عن العمل أن يحلوا محل هؤلاء الأجانب، حيث بلغ عدد العاطلين عن العمل في هذه البلاد أكثر من مليونين وربع مليون ألماني، في حين أن ألمانيا تحتضن أكثر من هذا العدد من أولئكم الأجانب، يشكل الأتراك المسلمون منهم نسبة كبيرة جداً قد تتخطى ٧٥٪ من المجموع الكلي لأولئك العاملين. وقد مرت هذه المظاهرة المعادية للأجانب على أحد المراكز الإسلامية في المدينة التي نظمت فيها المظاهرة. وكان اليوم يوم أحد تعقد فيه حلقة دراسية في المركز يحضرها مجموعة لا بأس بها من المسلمين. قام أحد العاملين في المركز وأطفأ الأنوار ودعا إخوته إلى لزوم الصمت وعدم النظر إلى المتظاهرين من خلال النوافذ، خوفاً من أن يصابوا ويصاب المركز بأذى!

وقد أصيبت مجموعة من المراكز الإسلامية في أوروبا بأنواع من الأذى وصلت في بعضها إلى إشعال النيران فيها. ولكن هذه الأساليب لم تثن، ولن تثن القائمين على دعوة الخير في الاستمرار فيها. ولكن الذي أود الوقوف عنده هو البعد الذي يعنيه هذا التصرف يوحي لي ـ على الأقل

ـ بأن الثقة التامة بإسلام المرء لم تتحقق عند الكثيرين بعد. ويبرز عامل فقدان الثقة في تصرفات كثيرة فردية لكنه في مجموعها تكون المقدرة على هذا الحكم. فحينما تسافر مجموعة من المسلمين من بلد إلى آخر فيحل وقت الصلاة وهم في سفر فلا بد لهم من الوقوف في «استراحة» يؤدون فيها الصلاة. وفي هذه الوقفة تجد بعضاً منهم ـ ولا أقول كلهم ـ يحاولون ما أمكن أن يبتعدوا عن الأنظار لئلا يعلم أنهم مسلمون! وقد يحتج البعض أن القوم هناك لم يتعودوا على مثل هذه الحركات فتثير عندهم الدهشة... وما إلى ذلك من محاولات «سطحية» لتبرير الهرب من الأنظار وقت الصلاة.

هذه الحالات في مجموعها وانتشارها تعكس حالة من «التخفي» التي يعيشها كثيرون من المسلمين في أوروبا وأمريكا، وتعمد البعض عدم إشعار الآخرين بأنه مسلم، وهذا يعني في مجتمعات كهذه «النزول» عن تكليفات كثيرة والتضحية في سبيل إخفاء الهوية الدينية. أقول هذا في الوقت الذي لا تكاد تخلو فيه محطة تلفزيون من إبراز الأنشطة الكنسية «العبادة» وأنشطة اليهود كذلك بشكل يوحي لمن لم يتنبه بأن هذا كله متعمد لإحياء هذه الأنشطة وجعلها جوانب عادية مألوفة بدلاً من أن تقتصر على الكنيسة أو المعبد. والمسلمون هناك يطالعون التلفزيون في معظمهم ويرون هذه الجوانب تبرز لهم دون شعور من القوم بضرورة إخفاء هذه الجوانب لئلا يقال عنهم أنهم نصارى أو يهود، بل إن بعضهم يعمد إلى تعليق الصليب أو النجمة السداسية على صدره لإشعار الآخرين بانتمائه الديني. ولست أدعو هنا إلى أن نعلق الهلال على صدورنا بقدر ما أدعو إلى أعمق من ذلك بكثير. أدعو هنا إلى زرع الثقة من جديد في أسلوب علاقة المسلم بربه، وإبراز هذه العلاقة للآخرين بالوجه الذي يعطيها إمكانية التأثير، فكم لفتة إسلامية صادقة كانت أثراً في إسلام الكثيرين!!

لا شك أن الدين الإسلامي يلقى حرباً قوية من قِبَل الكثيرين هناك، تنعكس هذه الحرب على وسائل الإعلام في عرضها للأحداث والمعلومات التي تتعلق بالإسلام والمسلمين. ولا شك كذلك أننا من حيث كوننا مسلمين نتحمل المسؤولية الأولى إزاء هذه الفكرة التي تسبغ علينا. ولا شك أن هذا كله من العمق بحيث لا يمكن أن يسمح لهذه الظاهرة أن تزول في وقت محدود. ولا أشك أيضاً في إمكانية زوالها في وقت قد يطول، ولكنه اليوم في بداياته المتعثرة التي تحاول أن تخطو اليوم بعد أن تتعدى مرحلة الحبو. فغرس الثقة الدينية بين المسلمين اليوم له مقوماته التي لا بد أن تتوافر على ساحة الدعوة عموماً وعلى الأرض الأوروبية والأمريكية التي تمثل جانباً كبيراً من ساحة الدعوة هذه.

ولن أسعى هنا إلى التنظير في كيفية غرس هذه الثقة من جديد. ولكني أستحضر صورة واحدة فقط تمثل قمة الثقة بهذا الدين حينما صاغها رجل مؤمن أمام واحد من «جباري» الأرض في زمنه. حيث دخل عليه مرفوع الرأس يضرب برمحه متاع الدنيا ومظاهر الترف ليقف أمام هذا «الجبار» ويقول له بكل قوة وبكل ثقة إنه قد أرسل إليه ليدعوه أو «ليحوله» من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. في حين كان الجبار «يُعبد» من دون اللّه بأسلوب أو بآخر من أساليب العبادة. الثقة تلك صحبتها مشية معتزة ـ ربما لا يحبذها الدين الإسلامي في غير هذه المواضع ـ مشية كانت تشبه مشية أبي دجانة في موقف أقرها فيه محمد رسول اللّه ﷺ ولم يقرها في موقف غيره.

تلكم صورة واحدة من تمثل الثقة في قمتها حينما تبرز صورة الإيمان واضحة في العقول والأذهان. ولعله لا يتوقع أن يوجد اليوم في أوروبا أو في أمريكا أو في العالم الإسلامي ذاته «ربعيون من بني عامر»، ولكن الذي يتوقع أن الذي دفع ربعياً إلى هذا يكون موجوداً في أذهان

أبناء المسلمين اليوم، بحيث يدعون إلى اللّه من خلال إبراز دين اللّه في حياتهم الخاصة والعامة من خلال عباداتهم ومعاملاتهم، وإعادة مثل هذه الثقة ـ بعيداً عن التنظير ـ لا بد أن يسبقها تبني هذه المراكز التي انتشرت اليوم في كل مكان معلنة الخطوة الأولى في طريق الثقة، وتبنيها يحتاج إلى مواصلة في دعمها بالعلم والكتب والأموال، فالعلم والكتاب والمال عناصر ثلاثة لا تكاد تدخل مركزاً من هذه المراكز إلا وتجده يعاني من نقصها مما أدى في بعض المواقف إلى أن يتصدى للعلم من لا يعلمون، فيفتون بغير علم فيَضلون ويُضلون. وإذا كانت هناك جهود قائمة اليوم فهي جهود تحمد ولا تغفل، وإنما تأتي هذه الدعوة لتكثيف هذه الجهود من الناحية العلمية، وتكثيف أعمال الخير في دعم هذه المراكز والإسراع في ذلك في محاولة للتغلب على المعوقات «الإدارية» التي تبطىء في وصول مثل هذه الأعمال إلى من ينتظرونها.

ولن أصل في هذه الدعوة إلى أن تكون على حساب المجهودات القائمة اليوم في سبيل إعادة الثقة الدينية بين أبناء المسلمين في البلاد المسلمة، والتي يتعرضون فيها إلى أصناف كثيرة من محاولات إخراجهم إخراجاً تاماً عن دينهم، ويأتي على رأس هذه الأصناف تيار التنصير يزداد يوماً بعد يوم. وما تلكم إلا أصناف من التحديات التي يواجهها المسلمون، تنصب على دينهم محاولة جادة لنزعه من الصدور، وهيهات أن يتم ذلك ما بقي بين المسلمين ذوو المحجة البيضاء، وهم بفضل اللّه باقون.

إذاً نحن بحاجة اليوم ـ في معظمنا ـ إلى أن نقول للآخرين إننا مسلمون بملء فينا. ولن نقول (بملء فِينا) ما لم تكن أذهاننا بها قد امتلأت، وعلى الذين يملكون أساليب ملؤها الأذهان تقع مسؤولية كبرى سيسألون عنها لا محالة، فكان اللّه في عونهم. وكان اللّه في عون الجميع.

في أمريكا..
يدخل الإسلام السجون!

عندما كتب «الكس هيلي» روايته الرائعة (الجذور) ومثلت تلفزيونياً على مرحلتين.. خرج الكاتب بها وخرج القارىء والمشاهد منها بنتائج كثيرة، كان آخرها أن بطل القصة يعود إلى خلفية إسلامية؛ لأن أحد أبناء البطل بعد أن يتتبع جذوره يسافر إلى البلد الذي سلب منه جده فيجد هناك أقاربه وأبناء أسرته يتبادلون السلام فيما بينهم ويقيمون الصلاة، ويرتادون المساجد، ويجد أن أقرب الناس إليه يدعى عبد الرحمن.

وتأتي هذه الرواية في وقت تصل فيه التفرقة العنصرية بين السود والبيض في أوروبا وأمريكا إلى مفترق الطرق. فالسود هناك لم يعودوا يكتفون بإبراز هذه الظاهرة نظرياً وعرضها على جميع الناس في كل المناسبات، ولكنهم طرقوا الأبواب العملية، ليجدوا لهم مكاناً مرموقاً في وسط هذه المجتمعات. فكان منهم الأطباء والجراحون والمهندسون وأساتذة الجامعات، بل ورواد الفضاء وعلماء في الذرة. ولا يزال منهم أولئك الذين آثروا السلبية تجاه هذا الوضع القائم، فكانوا فريسة للتفرقة، ونالوا منها نصيباً كبيراً أثر على مسيرة حياتهم، خاصة أنها حياة ـ في مجملها ـ خالية من المهارة والمهنية والخبرة في مجتمع يقيم لهذه الجوانب وزناً كبيراً.

وهذا الوضع جر هذه المجموعة مثلها في ذلك مثل أقليات أخرى إلى التعبير عن عدم رضاهم عن هذا الوضع القائم بأسلوب اتبع جانب الضرر لهم ولمجتمعاتهم، إذ لجأوا إلى الكحول والخمر يعاقرونها فتعقرهم، وإلى المخدرات تفتك بهم، ومن ثم إلى الجريمة بشتى أشكالها، من سرقة وقتل واغتصاب وإرهاب وما تركوا من هذه الجوانب طريقاً إلا وسلكوه. فكان مصير الكثيرين ممن أمسكت بهم يد العدالة أن يودعوا السجون التي غصَّت بهم، فقد كونوا بمجموعهم الكبير مشكلة تقوم على عدم إمكانية توفير المكان المناسب لهم، وذلك لكثرتهم فكانت المعاملة السيئة، وكان بروز ظاهرة الشغب في الآونة الأخيرة احتجاجاً على سوء المعاملة. والتفرقة العنصرية لم تقف عند حد الشارع، بل دخلت السجون ذاتها، فهؤلاء قد نقلوا معهم ما ورثوه في الشارع.

ولا شك أن هذا الأسلوب في التصرف من قبل المسجونين يشكل خطراً كبيراً على مفهوم السجون الحديث، الذي يسعى إلى تخريج مواطنين صالحين يعودون للمجتمع بنظرات إيجابية فيسهمون في السير به نحو الأفضل. هذا التصرف المعاكس حير القائمين على السجون، ونظروا إلى هذا المفهوم الحديث لها على أنه لا يعدو تنظيراً كتبه الباحثون وعلماء الجريمة والنفس والاجتماع ليضاف إلى مجموعات كبيرة من النظريات التي لا تتعدى الورق الذي كتبت عليه.

الظاهرة الجديدة:

وينشط المسلمون المقيمون في أمريكا نشاطاً واضحاً، بحيث تصل دعوتهم إلى السجون؛ لأن بعضاً ممن دخلوا الإسلام حديثاً قد طرق قضبان السجون في فترة من فترات الضياع التي عاشها، فينقل لإخوته الجدد الجو الذي عاشه ويعيشه أبناء قومه فيذهب فريق من المسلمين الجدد إلى المسؤولين عن أحد السجون فيعرضون عليهم فكرتهم وعواقبها

العملية النافعة. ويحدث أن يكون أحد مأموري السجن ممن عانوا من أحد أعضاء هذا الفريق فيسلم عليه العضو ويعتذر له عن تلك الفترة المظلمة من حياته، ويرى فيه مأمور السجن رجلاً آخر فيدرك أنه قد تغير بالإسلام، فيوافق مسؤولو السجن على أن يقوم هذا الفريق من المسلمين بعقد (ندوات) للمسجونين تكون دورية، ويكون هدفها الإصلاح، فيبدأ هذا الفريق بيوم الجمعة، حيث يجمع مجموعة من المسلمين ويهيىء لهم السجن موقعاً خاصاً يلقون فيه خطبة الجمعة والصلاة، ومن هنا تكون الانطلاقة، فغير المسلمين في السجن إنما حضروا للاستماع، مدفوعين بذلك من قبل مأموري السجن، وتكون النتيجة أن يسمعوا كلاماً له صدى عجيب ووقع على الأذهان والعقول غريب، فيواصلون التجمع حول أبناء قومهم ذوي الاتجاهات الجديدة، ويحضر هؤلاء معهم مجموعة من الكتب يزودون بها مكتبة السجن، فيها تعريف بالإسلام وترجمة لمعاني القرآن الكريم.

ومنذ بداية هذه الندوات والسجن يشهد تغيراً تدريجياً يميل إلى الهدوء والطمأنينة، فيرتاح مأموروه أكثر فأكثر، ويطالبون هؤلاء الدعاة بتكثيف نشاطهم، فيعمد هؤلاء إلى إقحام المسلمين الآخرين من عرب وهنود وباكستانيين وأمريكيين بيض فتبرز للجميع عالمية هذا الدين، ويبدأ الدخول في الإسلام شيئاً فشيئاً، وترفع التقارير عن حالة المسجونين وتغير كثير منهم، فتدعو السجون الأخرى المراكز الإسلامية والمساجد هناك إلى المساهمة في تهدئة السجون وإخراج جيل صالح من المسجونين إلى المجتمع يحقق النظريات التي جاء بها المنظرون ولكن بأسلوب عملي هادف بناء، فتصبح ظاهرة (أسلمة) السجون أمراً مسلماً به، ويصبح المسلمون الذين جرت بهم ظروفهم قبل إسلامهم إلى السجون يضربون المثل في الإيجابية والهدوء والتعاون مع مأموري السجن على تهدئة

الوضع كلما طارت شرارة معلنة قيام شغب في أحد هذه السجون.

دعوة السجون:

وتبرز في الأفق ظاهرة جديدة، هي ظاهرة الدعوة في السجون، فتصبح ظاهرة ذات طابع مميز تختار لها مقومات خاصة وينتخب لها أشخاص ذوو كفاءات دعوية منتقاة؛ لأن هذه الرقعة التي تضم فئة من الناس تعيش ظروفاً قد تختلف عن ظروف غيرهم وتحتاج إلى مراعاة ما هم فيه وما هم عليه.

ويتناقل الناس هذه الظاهرة وتكتب عنها بعض الصحف المحلية والنشرات التي تصدرها المجموعات الإسلامية ترصد فيها الإحصائيات، وتسترشد بآراء القائمين على السجون حول تأثير هذه الظاهرة الجديدة على سير أعمالهم. ويتطور الأمر إلى أن يصل إلى الدراسة الأكاديمية العلمية، حيث حضر في هذه الظاهرة الرسائل، وتبرز النتائج الإيجابية التي توصي في نهايتها بتكثيف هذا النشاط وتعميمه على الجميع.

ولم تتوقف الدراسات عند حدود السجن، ولكنها تابعت أولئكم الذين خرجوا من السجون بروح جديدة بدا عليهم أنهم لن يعودوا إليه كما جرت عادة أترابهم الذين لا يلبثون أن يعودوا إلى السجون بعد فترة قصيرة من خروجهم منها، معلنين بذلك فشل النظريات في إصلاح ما أفسدته تلكم المجتمعات من أبنائها. مثل هذه الدراسة أثبتت أن الذين اعتنقوا الإسلام في السجون خرجوا منها ليضموا إليهم مجموعات كانت «ضائعة» تبحث عمن يتبناها ويعطيها شيئاً من الاهتمام ويملي عليها قيمتها الإنسانية وإمكانية مساهمتها الفاعلة في بناء المجتمع. وكانت هذه العبارات تكرر لهم في السجون أكثر من مرة ولكنهم لم يلمسوهُ إلا عندما رأوا أن هذه القيمة يمنحها رب العباد لمن يريد أن يصل إليها، وليس هناك من يستطيع الوقوف في طريق من يريدون الوصول إليها. فأقبل على هذا الدين أناس

كثيرون إذا جالستهم وسردوا لك حياتهم قبل الإسلام لا تكاد تصدق أن يصدر عنهم ما صدر عنهم، إذ إنك تجد نفسك مع شخصيات مغايرة تماماً لما يصورونه لك.

ولم تقف الدراسات الاجتماعية على تتبع الأشخاص فقط، بل عمدت إلى دراسة الأحياء التي يغلب عليها طابع الفقر وتكثر فيها من أجل ذلك المشاكل. وقد صدرت دراسة أجريت على مجموعة من أحياء شيكاغو العريقة المعروفة بطابعها المميز، وخرجت هذه الدراسة بنتيجة أن الأحياء التي يغلب عليها الطابع الديني هي أقل أحياء مدينة شيكاغو من ناحية المشاكل وأقربها إلى الاعتدال والإيجابية، وفي مدينة شيكاغو مجموعات كبيرة من المسلمين. ولعلها تعد المركز الرئيسي لانطلاقة المسلمين المقيمين الذين يتسمون بأمة الإسلام.

هذه الظاهرة العجيبة لا تتوقف عند حدود مدينة واحدة أو ولاية، بل لعلها تشمل جل الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية التي تعيش فيها أقليات تعيش ذات الظروف التي تعيشها الأقليات الأمريكية، والذي أعلمه أن «اتحاد مسلمي شمال أمريكا» يولي هذه الظاهرة اهتماماً خاصاً، يعين بذلك المساجد والمراكز المحلية بتزويدها بالمطبوعات والدراسات، ويعقد لذلك الندوات ويشترك فيها ويساهم بجهد علمي ملحوظ وخاصة أنه اتحاد يجمع المسلمين في أمريكا على مختلف مستوياتهم العلمية والاقتصادية، ويقف شامخاً يؤدي دوره على وجه يستحق عليه الإعجاب، ولا يقف عند التنظير والإشراف، ولكنه يخصص لهذه الظاهرة مجموعة من الخبراء الذين مروا بظروف يمر بها اليوم نزلاء السجون، فيستفيدون من هذه الخبرة ويكون القبول منهم أكثر من القبول من غيرهم. وذلكم أسلوب تتطلبه مجالات الدعوة، فكان اللّه في عون الدعوة وكان اللّه في عون الجميع.

الموريسكولوجيا.. والامتحان الصعب!

والحديث هنا يحاول أن يلقي ضوءاً خافتاً على مجموعة غير يسيرة من المسلمين في الأندلس تعرضوا لصنوف من الامتحان؛ لأنهم مسلمون. ولم يذكر لنا التاريخ أنهم كانوا سبباً مباشراً أو غير مباشر لما تعرضوا له من الإهانة التي يخجل الأسبانيون اليوم من ذكرها أو التعرض لها. ويطلب العلماء منهم عدم التوسع فيها، من حيث الدراسة والبحث. ففي القرن العاشر الهجري تعرضت طائفة من المسلمين إلى التنصير القسري كحل من حلين وضعا أمام مسلمي الأندلس، وكان الحل الآخر مغادرة البلاد.. أي النفي والطرد والإبعاد من الأندلس ومراكزها العلمية ومكتباتها ومخطوطاتها وآثارها. أو آثار المسلمين فيها. وليت الخيار الثاني (الطرد) قد سمح معه بأخذ هذه الآثار العلمية. ولكن المسلمين كانوا يخرجون مجردين من كل شيء نافع حتى ليذكر الدكتور عبد الجليل التميمي في محاضرة له ألقاها في مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض الأسبوع الماضي أن مليون مخطوط عربي قد أحرقت في ساحة واحدة في وقت واحد وأمر بحرقها القسس والرهبان. أما الذين رفضوا الرحيل فلم يكن أمامهم ـ ظاهراً ـ إلا التنصر. وكانت هناك متابعة ومراقبة عجيبة لهؤلاء الموريسكيين، بحيث يحرق حرقاً من يعلم أولاده القرآن الكريم أو

اللغة العربية. ويحرق من يأوي مسلماً لم يتنصر ظاهراً على الأقل. ويحرق من يعين على تهريب مسلم خارج البلاد. ويحرق من يصر على الاسم العربي المسلم، وتحرق النساء أكثر من الرجال سعياً وراء التقليص من الإنجاب. وسعياً وراء التقليص من نشاط النساء الموريسكيات في الحفاظ على الخلفية الدينية لهن ولأزواجهن ولأولادهن.

ويسأل البعض عما إذا كان الدافع لهذا كله سياسياً أكثر منه دينياً في محاولة للتقليل من تعميق هذه المأساة، فيصر الدكتور التميمي على أن الامتحان الصعب هذا كان دينياً؛ وأن الأسبان متعصبون لكاثوليكيتهم، ولأن القسس كانوا يباشرون الإحراق والطرد، ولأن المسألة لم تكن للقضاء على العنصر العربي وإنما كانت للقضاء على الوجود الإسلامي، بدليل أن الدم العربي لا يزال موجوداً في أسبانيا والبرتغال وأمريكا الوسطى والجنوبية في الوقت الذي تلاشى فيه التأثير الإسلامي على المجتمع الأندلسي، ولم يبق من المسلمين إلا عدد قليل ليس مسجلاً رسمياً، وإن كانت هناك محاولات جديدة وجادة لعودة بعض الموريسكيين الأندلسيين إلى دينهم الذي ارتضوه. ولكنها محاولات متأخرة.

ومحنة الموريسكيين تحتاج إلى وقفات طويلة وعلمية وموضوعية بعيداً عن العاطفة التي لم تجد في حل القضايا المصيرية. وهذه الوقفات العلمية لن تجد من يعترضها، فوثائق ومحاضر محاكم التفتيش موجودة ومهيأة وتحتاج إلى من يتقن اللغة الأسبانية أولاً، ثم النبش في الكتابات الخمیالية المكتوبة بالحروف العربية واللغة القشتالية.

والعرب بخاصة والمسلمون عموماً متأخرون في دراسة هذه المحنة، حيث يثبت العالمون أن خمساً وتسعين بالمائة من الدراسات عن الموريسكيين (٩٥٪) صدرت عن غير المسلمين، حتى ظهر علم جديد

سموه الموريسكولوجيا (علم الموريسكيين)، بينما تقف مراكز البحوث وأقسام التاريخ والحضارة في الجامعات العربية قاصرة ومقصرة في هذا المجال، وقليلاً ما تجد أستاذاً ـ واحداً ـ أو اثنين متخصصين في تاريخ المسلمين في الأندلس، وإنما هي مجموعة من الخواطر الأدبية العاطفية، كالقصائد والكتابات السطحية السريعة ـ مثل هذه الحروف ـ تندب الحظ وتعض أصابع الندم وتولول على ما أصاب المسلمين في الأندلس وما يصيب غيرهم اليوم في بلاد إسلامية أخرى.

بل إن المعرفة باللغة الأسبانية أيضاً محدودة جداً في وقت نجد فيه أقساماً متكاملة التجهيز للغة الانجليزية وآدابها مثلاً.. وذلك على حساب الاهتمام باللغات الأخرى، كالأسبانية والتركية والفارسية والأردية وغيرها من اللغات المليئة بالمعلومات العلمية حول الإسلام والمسلمين والعرب والحضارة التي تستحق أن يلتفت إليها.

ولا عذر لنا اليوم في جميع الجامعات العربية والإسلامية ومراكز البحث العلمي، حيث توافرت تقريباً جميع الوسائل العلمية من المكتبات ومراكز البحوث وتوافر الاطلاع على الوثائق والمحاضر والمخطوطات التي وصلت إلى المكسيك وبيرو من أمريكا الوسطى والجنوبية حتى ليقال أن محاكم التفتيش قد زاولت أعمالها في هذين البلدين الذين كانا مستعمرين من قبل أسبانيا.. فتتبعت المحاكم الموريسكيين الأندلسيين في أمريكا الجنوبية والوسطى واستعملت معهم أساليب، منها الحرق ومصادرة الأموال والمقتنيات والطرد، في أن نبحث في جميع جوانب هذا التراث العربي الإسلامي.

وإذا كان العلماء الأسبانيون يتحفظون على هذه الحقبة من تاريخهم فإنهم يرحبون بالدراسات والبحوث وإلقاء المحاضرات وعقد الندوات وإقامة المؤتمرات حول الوجود الإسلامي في أسبانيا عموماً بما فيه

معالجة هذا الامتحان الصعب الذي تعرض له المسلمون «الموريسكيون الأندلسيون» خاصة في القرن العاشر الهجري حينما كانوا يساقون إلى الكنيسة ويُعمّدون قسراً وتُغيّر أسماؤهم إلى الأسبانية حتى لتجد اسم الشخص «فيليب» واسم أبيه «روبيرتو» واسم جده الأول «ارنستو» واسم جده الثاني «بلاثيوث» واسم جده الثالث عبد الرحمن بن محمد العامري. وتتردد هذه الأسماء لمسلمين ولا نعرف أنهم مسلمون، وهكذا أريد لهم ألا يعرفوا إلا بأنهم أسبانيون.

نحن بحاجة إلى التركيز على مثل هذه الجوانب من تاريخنا لنوضح عملياً للآخرين ما قوبل به المسلمون من قبل النحل والملل الأخرى في الوقت نفسه الذي قابل به المسلمون أصحاب هذه الملل والنحل من منطلق ﴿**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**﴾ واللّه المستعان.

الجزيرة العدد ٥٧٢٨

السبت ٢٠ شوال ١٤٠٨ هـ ـ ٤ يونيه ١٩٨٨ م

أذان المغرب.. في أمريكا

قد تسمع أو تقرأ أن حدثاً ما في أمريكا يهم العرب أو المسلمين. فهناك من يقول عرض في التلفزيون الأمريكي، أو عرضت الإذاعة الأمريكية أو نقلت صحيفة أمريكية حدثاً من الأحداث. أو نقلت المحطة العربية في أمريكا أذان المغرب في شهر رمضان المبارك.

والحديث عن أمريكا غالباً ما يأخذ جانب التعميم، فأمريكا قارة غير صغيرة مكونة من خمسين ولاية، لكل ولاية نظامها وإذاعاتها وتلفزيوناتها وصحفها، وكل ولاية عبارة عن مجموعة من المقاطعات، وفي كل مقاطعة مجموعة من المدن. والإذاعة المسموعة في مدينة قد لا تكون مسموعة في المدينة الأخرى من المقاطعة ذاتها، فما بالكم بالولاية وما بالكم بأمريكا.

والذي يحدث أحياناً أن مجموعة من المسلمين يستأجرون وقتاً في الإذاعة أو التلفزيون المحلي يذيعون أثناءه برامج إسلامية وعربية فيراها أحدهم ويكتب عنها على أنها ظهرت في الإذاعة أو التلفزيون الأمريكي. وتشهد منطقة واشنطن العاصمة إعلان أذان المغرب مسجلاً وقت المغرب من كل يوم من أيام رمضان. ولكن الأذان لا يسمع من الإذاعة إذا خرج المرء عن منطقة واشنطن. وفي المنطقة ذاتها محطة تلفزيون تؤجر ساعات

للعرب ولمجموعة من المسلمين وللهنود وللإيرانيين والصينيين واليابانيين. . . وهكذا ولكن برامجها لا تخرج عن منطقة واشنطن، ولضخامة البلاد وكثرة محطاتها وصحافتها لزم التنويه على أن التعميم غير وارد هنا، ولا يمكن مثل هذا التعميم إلا إذا عرض الموضوع من خلال شبكة تلفزيون أو إذاعة تعرض على مستوى البلاد. وهناك مجموعة من الشبكات التي تغطي أمريكا نقرأ عنها ونسمع منها ، وأهمها أربع شبكات هي الـ (أي، بي، سي ـ وسي، بي، إس، وإن، بي، سي ـ وبي، بي، إس). بالإضافة إلى محطة الأخبار (سي. إن. إن) التابعة لرجل الأعمال المعروف تد ترز، الذي يملك مجموعة من المحطات وفرق الرياضة في أتلانتا/ جورجيا. وإذا ما عرض برنامج في هذه الشبكات فيمكن عندها أن يقال عرض في التلفزيون الأمريكي مع شيء من التحفظ.

الجلوس مع الأولاد:

وما دمنا ندور حول أمريكا فإن هناك أسلوباً يعتمد على استئجار بعض الشباب من الفتيات ـ عموماً ـ للجلوس مع الأولاد بينما يذهب الوالدان إلى شأن من شؤونهما، إما للعمل أو لبرامج ترفيهية. وفكرة الجلوس مع الأولاد فكرة شائعة وغير جديدة. وهناك من يرحب بها كحل مؤقت، وهناك من يحذِّر منها بسبب من سوء معاملة الأولاد من قبل الجالسين معهم.

وفي يوم من الأيام عمد الطفل الصغير الذي يبلغ حوالى الرابعة من عمره إلى محاولة صفع أخيه الصغير جداً الذي لم يصل عُمره إلى السنة الواحدة. وكان هذا بمرأى من والدته. فمنعته الوالدة وسألته عن سبب

هذا التصرف فقال لها: إن فلانة «التي تجلس معه ومع أخيه» تعمل هذا مع الصغير كل يوم تقريباً فانقلبت الدنيا في عيني الوالدة، وفكرت كثيراً ولكنها ولأنها لا تملك الدليل المحسوس لا تستطيع رفع دعوى على الفتاة التي تجلس مع ولديها. فما كان منها إلا أن نصبت آلة تصوير «فيديو» في صالة الجلوس حيث تجلس الفتاة عادة مع الطفلين، وأخفت الآلة بحيث لا ترى. وقبل خروجها أدارتها وتركتها وخرجت إلى شأنها.

تعود الأم من العمل وتستلم ولديها من الجالسة معهما وعيون الصغير حمراء من كثرة البكاء وتحتج الجالسة بأن الطفل بدأ الصياح قبل لحظات من وصول الأم. فتذهب الجالسة لشأنها وتعود الأم إلى آلة التصوير وتعيد إدارتها، ويا لهول ما ترى. ترى الفتاة تصفح الرضيع صفعات قوية جداً مملوءة بالحنق والحقد والخروج عن طور الإنسانية، لم تكن الصفعات واحدة أو اثنتين بل الذي لقطته آلة التصوير ثلاث صفعات تمزقت معها قلوب الذين شاهدوا هذا الموقف.

عرض هذا الموقف في إحدى شبكات التلفزيون (سي، بي، إس) ورآه عدد غير قليل من المشاهدين، فلم يكن منقولاً من محطة محلية وأجريت المقابلة مع الأم وعرض مرة أخرى وقبض على الجالسة للأطفال وأودعت السجن، ولكنها وحسب نظام السجن في أمريكا عموماً تستطيع الخروج بكفالة حتى يحين وقتها ومحاكمتها، وإذا وفقت لمحامٍ نشطٍ متحدث خرجت من هذا الموقف ببراءة أو بعقاب يسير جداً. وقد أهدت محطة التلفزيون هذا المنظر إلى كل والدين يتركان أولادهما مع هؤلاء الأجراء ويذهبان للترفيه وقتل الوقت.

ومن الصعب جداً التعليق على مثل هذا المنظر، فالصورة كانت تعبيراً تعجز عنه آلاف الكلمات.

البث المباشر:

وفي الولايات المتحدة الأمريكية تقليد يقوم على استخدام فكرة البث المباشر على المستوى الوطني. فهناك شبكات المحطات التي تبث مثل هذه البرامج على مستوى الإذاعة والتلفزيون. والناجح منها هو ما يثبت بالإذاعة حيث ينصب شخص نفسه ولمدى ثلاث ساعات يجيب على أسئلة المتحدثين. ثم ثلاث ساعات أخرى تكون خاصة للمشكلات الاجتماعية، بينما كانت الثلاث الأولى لمشكلات العمل، وهناك ثلاث ساعات أخيرة تبدأ من الواحدة صباحاً إلى الرابعة منه ويغلب عليها الجانب النفسي.

والغرض من إيراد هذا الأسلوب هنا هو أن المتابع لهذه البرامج المباشرة يستطيع الخروج بمعلومات حية عن هذا المجتمع وما يعتريه من مشكلات، لو أن هذه البرامج على مستوى البلاد فهي تعطي المتابع القدرة على التعميم في الحكم على البلاد وأهلها. ولا يستطيع المرء الخروج من هذه إلا بأن يأسف على هذا المجتمع الذي يزداد تمزقاً يوماً بعد يوم. وطبيعة المشكلات تقوي مثل هذا الحكم. وأقرب مثل لهذه المشكلات أن تهاتف مقدمة البرنامج فتاة صغيرة في الثامنة من عمرها وبعد الساعة الواحدة وتشتكي إليها أن أباها يسيء معاملتها إلى درجة أنه يريد أن يغتصبها، وحيث إنه لا أم لها تطلب منها مقدمة البرنامج أن تتصل بمدرستها في اليوم التالي. فتتصل الفتاة الصغيرة بمدرستها وينتهي بها الأمر أن تؤخذ من أبيها وتوضع في بيت لمثل هذه الحالات ويؤخذ أبوها تحت عناية الشرطة حتى تتم محاكمته، كل هذا ومقدمة البرنامج تتابع هذه المسألة أولاً بأول وتخبر المستمعين بها.

ومن هذه الحالة تبرز حالات أخرى أو تتصل فتاة في الرابعة عشرة من عمرها وتخطر مقدمة البرنامج أن عمها يحاول معها كما حاول أبو

الفتاة الصغيرة مع ابنته، وما دفعها للمهاتفة إلا عندما سمعت بقصة الفتاة الصغيرة. وتعلق مقدمة البرنامج بأن مثل هذه الحالات كثيرة ولن تعرف إلا إذا كانت هؤلاء الصغار يملكن من الشجاعة ما يجعلهن قادرات على إظهار مثل هذه المشكلات على السطح.

ولا يقتصر الأمر على الصغيرتين ولكن كبار السن ليسوا أحسن حظاً من الصغار، وما الرجال بأحسن حظاً من النساء ليس على المستوى العاطفي فحسب، بل على مستوى التعامل مع الآخرين والوقوع في مزالق عند التعاقد على عمل شيء أو شراء سلعة أو التمتع بإجازة.

ذلكم جزء من المجتمع الأمريكي يتعرف عليه من يتابع مثل هذه البرامج التي تشكل جزءاً من التعايش مع هذا المجتمع. ولن يتعرف عليه بحق إلا من يعايشه ويتعمق في عاداته وتقاليده وأساليب التعامل فيه لا ليتبناها، ولكن ليعرف الناس من خلالها.